سياسة الدولة العثمانية تجاه البندقية ١٥٣٧-١٥٧٣

الأستاذ المساعد الدكتور: فهد عويد عبد البعيجي
جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:-

كان رد الفعل البندقي تجاه عمليات التمدد العسكري العثماني يخضع لازدواجية المواقف ,فمن جانب كان ذلك التوجه العثماني يثير حنق البنادقة تحسبا لأي تهديد عسكري لممتلكاتهم في المنطقة ,الامر الذي كان يفرض عليهم تبني سياسة أكثر عدائية تجاه الدولة العثمانية ,وان تطلب الامر منها ان تلعب دور المحارب (بالنيابة) أي اسناد اطراف أخرى ماديا وعسكريا بشكل خفي من اجل ديمومة الحرب ,ومن جانب آخر فان العثمانيين بسبب ذلك التوسع أخذوا يسيطرون على أهم الطرق والمستعمرات التجارية .التي كانت البندقية تحاول احتكار التجارة معها , واذا علمنا بأن الدولة العثمانية استغلت ورقة الامتيازات التجارية للمفاضلة بين الدول الاوربية المتاجرة معها ,الامر الذي كان يفرض في النهاية على البندقية ان تتبنى سياسة أكثر براجماتية حيال الدولة العثمانية, وان تطلب ذلك منها في احيان اخرى ان تتسابق مع غيرها من المنافسين التجاريين لاحتكار الامتيازات التجارية مع الدولة العثمانية.

المقدمة:-

كان رد الفعل البندقي تجاه عمليات التمدد العسكري العثماني يخضع لازدواجية المواقف ,فمن جانب كان ذلك التوجه العثماني يثير حنق البنادقة تحسبا لأي تهديد عسكري لممتلكاتهم في المنطقة ,الامر الذي كان يفرض عليهم تبني سياسة أكثر عدائية تجاه الدولة العثمانية ,وان تطلب الامر منها ان تلعب دور المحارب (بالنيابة) أي اسناد اطراف أخرى ماديا وعسكريا بشكل خفي من اجل ديمومة الحرب ,ومن جانب آخر فان العثمانيين بسب ذلك التوسع أخذوا يسيطرون على أهم الطرق والمستعمرات التجارية .التي كانت البندقية تحاول احتكار التجارة معها , واذا علمنا بأن الدولة العثمانية استغلت ورقة الامتيازات التجارية للمفاضلة بين الدول الاوربية المتاجرة معها ,الامر الذي كان يفرض في النهاية على البندقية ان تتبنى سياسة أكثر براجماتية حيال الدولة العثمانية, وان تطلب ذلك منها في احيان اخرى ان تتسابق مع غيرها من المنافسين التجاريين لاحتكار الامتيازات التجارية مع الدولة العثمانية.

ناقش الباحث بواكير العلاقات بين الطرفين في دراسة سابقة ،وتوقف فيها عند مستهل القرن السادس عشر ،ووجد من حيثيات الحوداث والمد والجزر في العلاقات بينهما في القرن السادس عشر ما يستحق ان تفرد له دراسة مستقلة ، اذ تقاطعت مصالح الطرفين فيها بشكل واضح وبدا كل طرف يحاول اعادة ترتيب اوراقه تجاه الآخر ، مستعينا بما توافقت معه مصالحه ،وتقاطعت مع مصالح الآخر ،وانطلاقا من ذلك اصطدم الطرفان في اكثر من موقع في محاولة من كل منهما الاثبات في اختبار ميزان القوى الذي شهدته منطقة البحر المتوسط وشرقي البلقان بأنه الأجدر.

واصل السلاطين العثمانيين في القرن السادس عشر المحاولات لتوسيع رقعة الدولة ،واذا كان السلطان سليم الاول (١٥١٢- ١٥٢٠) قد اتجه بالتوسع نحو الشرق في مستهل القرن ،فان السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٥٥) قد عاد باتجاه التوسع نحو الغرب ،وكانت احدى خطوط الاتجاه في التوسع العثماني ما يتصادم مع مصالح جمهورية البندقية او يستفز مخاوفها خشية على مستعمراتها ،وتأسيسا على ذلك انطلقت لاكثر من مرة لتشكيل تحالفات دولية ضد الدولة العثمانية .

احتك العثمانيون بالبنادقة في الفترة موضع البحث بأكثر من موقع ،واولها ما نشبت في الاعوام ١٥٣٧ -١٥٤٠ واسفرت عن سيطرة العثمانيون على سيكلادس احدى المقاطعات اليونانية ،وكانت حينذاك تابعة لجمهورية البندقية ،ثم السيطرة على سبورداس على الساحل الشرقي اليوناني ،وعلى آخر معاقل الجمهورية في المورة (البلوبونيز).ونشبت الاشتباك الثاني عام ١٥٧٠ عندما قصد العثمانيون جزيرة قبرص الاستراتيجية ،وانجلى

الاشتباك عن سيطرة العثمانيون على الجزيرة ،الامر الذي حفزهم كثيرا للمزيد من الاندفاع ،وقابل ذلك المزيد من الارتباك والخشية عند دول اوربا لاسيما البندقية التي تعمل بكل جد لهندسة تحالف دولي ضد العثمانيين واسفرت الجهود الدبلوماسية عن تشكيل تحالف دولي ضم فضلا عنها البابوية واسبانيا وجنوا وكورسيكا ونابولي ،واشبكت بحرية التحالف مع البحرية العثمانية في اقسى المعارك البحرية التي شهدها البحر المتوسط على العثمانيين ،بعد ان فقدو ارجحيتهم في ذلك البحر حتى انهيار الدولة العثمانية .

اعتمد الباحث في اعداد هذه الدراسة على عدد من المصادر الاصيلة ،سواء ما يتعلق منها بالوثائق او المصادر المعاصرة لبعض الاحداث او التي كتبت بأقلام باحثين تخصصوا في تاريخ تلك الحقبة الزمنية ،في محاولة لاستجلاء الحقائق والوقوف على التفاصيل التي تجلي الغبار عن المواقف الدولية انذاك.

اولا :بواكير العلاقات العثمانية – البندقية حتى عام ١٥٣٧

ما ان تحولت الدولة العثمانية الى امارة حدودية ([١]) وأخذت تتوسع تجاه مناطق البلقان ابتداء من عهد السلطان أورخان ([٢]) وما ان انشأت جمهورية البندقية لنفسها مستعمرات شرقية أمتدت من البحر الاسود الى اليونان ([٣]) ثم استطاعت ان تسأثر بالتجارة الشرقية بعد لعبها دور الوسيط التجاري بين اوربا والشرق ([٤])حتى كان مجال الاحتكاك والتصادم بين الطرفين أمرا تفرضه الظروف بشكل حتمي ,وذلك لتجاوز حدود التقاطع بين البلدين حدود الطرق الى تقاطع المصالح ,وهذا ما يمكن ان نلمسه بشكل واضح خلال القرن السادس عشر.([٥])

ومن المهم القول ان بواكير العلاقات العثمانية – البندقية بدأت عندما تم اختيار اثنين من النبلاء وهما ليوناردو كونتاريني وانطونيو فينير في آذار ١٣٦٠ كمبعوثين ارسلا الى السلطان العثماني مراد الاول عام ١٣٦٢ عند استيلاءه على مدينة ادرنه لتقديم التهاني له ،وبالمقابل فان اول سفير عثماني تم ارساله الى البندقية كان عام ١٣٨٤ لكي يطلب دون جدوى تحالفا ضد جنوه ، التي كانت في ذلك الوقت من ألد أعداء البنادقة ، وفي عام ١٣٨٩ وفور وصول انباء اغتيال السلطان مراد الاول في اعقاب معركة كوسوفو ،بادر الدوتشي البندقي الى كتابة رسالة لتهنئة الملك الجديد ولعدم معرفته ايا من الاميرين بايزيد او يعقوب اولاد السلطان اعتلى العرش ،جعل الرسالة بعنوانين مختلفين وكلف المبعوث بواجب تسليم الخطاب الملائم .([٦])

اما عن الاحتكاك العسكري بين الطرفين فقد بدأ منذ ان استولى العثمانيون على قلعة غاليبولى على مضيق البسفور في عهد السلطان أورخان ,والتي كانت تابعة للبنادقة منذ عام ١٣٥٠. ([٧])

وتميزت العلاقات بين البلدين طيلة القرن الخامس عشر بين حرب مستعرة وسلام مستكين ، وتوفرت الفرصة أمام السلطان العثماني للتدخل في الشؤون البندقية مرة أخرى من خلال الصراع الذي اشتد اواره

منذ منتصف القرن الخامس عشر ،فقد شهدت الدويلات الايطالية حالة من الاحتراب الداخلي ،وتتمحور اسباب ذلك الصراع حول محاولة البندقية التوسع على حساب جيرانها من الدويلات الايطالية (٨) واشد الصراع مطلع القرن السادس عشر عندما ازدادت مطامع البندقية في اقليم ميلان ،ولأجل ذلك رحبت بالمحادثات التي اجرتها معها الحكومة الفرنسية ، وتم الاتفاق في شباط عام ١٤٩٩على القضاء على دوق ميلان ،وبناء على ذلك جهزت البندقية التحالف ب١٥،٠٠٠ مقاتل ،واستطاعت جيوش البندقية تحقيق سلسلة من الانتصارات على ميلان فانتزعت منها كريمون Cremone ولودي Lodey ،كما توسعت ايضا تجاه وفاينزا Faenza و ريميني Rimini و سيزينا Cesene ،واخذو يخططون لضم ايمولا Imola وفورلي Forli , وكانت هذه الاملاك تحت ادارة شيزاري بورجيا ابن البابا الاسكندر السادس. (٩) واستطاع حلفائهم الفرنسيين اجتياح ميلان من الشمال والسيطرة على أجزاء منها ، وبدا للفرنسيين أمر التوسع تجاه نابولي ايضا في الجنوب أمرا ممكنا فيما لو تم التفاهم مع الاسبان بيد ان فرنسا فشلت في تحقيق شيئ من ذلك أمام معارضة الاسبان .(١٠)

حاولت الدولة العثمانية ان تستغل انشغال البندقية بتلك التطورات ، وعلى أثر توتر علاقاتها مع البندقية بعد اكتشاف وجود رسائل مشفرة لدى السفير البندقي في اسطنبول في الرابع من تموز ١٤٩٩ ،اندلعت الحرب بين الطرفين بعد قيام الحكومة العثمانية بسجن السفير البندقي مع عدد من التجار البنادقة ،واستمرت الحرب طيلة الاعوام ١٤٩٩ – ١٥٠٣ وانتزعت الدولة العثمانية من البندقية جزر كفالونيا وكورون ومودون وسانت مور، كما حصلت على مكاسب أخرى تضمنها الصلح المعقود بين البلدين في العشرين من ايار١٥٠٣ (١١)

كان لتلك التحركات البندقية ومثيلاتها بين الاعوام ١٥٠٤- ١٥٠٨ أثرها في اثارة الاعداء عليها في جبهات أخرى ايضا , فقد أدى استمرارها بالتوسع على حساب الدويلات الايطالية الى دفع تلك الاطراف توقيع تحالف في كامبريه في كانون الاول ١٥٠٨ وضم الحلف كل من نابولي التي كانت البندقية قد استولت على عدد من الموانئ التابعة لها ،كما ضم ايضا اسبانيا التي انضمت لادعائها بتابعية نابولي لها ،وانضمت فلورنسا التي كانت ترى في البندقية منافسا عتيدا لتجارتها في الاراضي المنخفضة ،وانضمت الامبراطورية الرومانية المقدسة التي استاءت من امتداد النفوذ البندقي لمناطق تدعي الامبراطورية تابعيتها لها ، وأخيرا كان الحلف بمباركة البابوية اذ كان البابا الجديد يوليوس الثاني Jules II الذي ارتقى الى الكرسي البابوي عام ١٥٠٣ من اصول جنوية ،لذلك فهو يمقت البنادقة أشد المقت ،ولم ينسى انهم نزعوا عن البابوية املاكها في رافنا وروماننا وتحدث يوما قائلا (سأؤلب عليهم أمراء العالم المسيحي جميعا) واتبع القول بالفعل ،فمنذ يومه الاول في البابوية لم يعد يسمع في روما الا عن وقاحة البنادقة،ودخل في مراشقات مع السفير البندقي قائلا له

(سأعيد مدينتكم الى قرية للصيادين) فأجابه السفير بلغة لا تخلو من تحدي (أما نحن ايها الاب الاقدس فسنجعلكم اذا لم ترجعوا الى صوابكم قسا بسيطا). ([١٢])

تحددت اهم اهداف الحلف بالهجوم على اراضي البندقية واقتسام املاكها ،وحدث الصدام الاول بين الطرفين في معركة اجناديلو التي دارت رحاها في الرابع عشر من آيار ١٥٠٩ وسحقت فيها القوات البندقية وتراوحت ضحاياها بين ٨٠٠٠- ١٠،٠٠٠ قتيل ([١٣]) فما كان من دوج البندقية ليوناردو لوريدانو L.Loredano الا واذاع بيانا في مجلس الشيوخ البندقي دعا فيه الى تأييده على فكرة التحالف مع العثمانيين وطلب المساعدة منهم ([١٤]) ومن الجدير بالذكر ان رأي الدوج هذا يعتبر نكوصا على رأي سابق له ,اذ سبق وان نادى أحد اعضاء المجلس وهو ليوناردو جريماني L.Gremani الملقب بحكيم المجلس،قبل نشوب المعركة بشهر ارسال سفيرين الى اسطنبول ،وبلغ تعصب الحكيم لرأيه الداعي الى الاستنجاد بالعثمانيين الى درجة انه عندما تم رفضه في المجلس فقد اصيب بنوبة قلبية ومات .([١٥])

وبدأت في الوقت نفسه في البندقية حركة مقاومة شعبية ضمت جميع عناصر السكان ,الذين قبعوا في خلجانها المنيعة وسهولها المنخفضة المليئة بالمستنقعات ،وكانت جيوش التحالف قد فرضت حصارها عليها ([١٦]) وفي غضون ذلك وتحديدا في الثامن من آيار ١٥٠٩ صوت بعض اعضاء مجلس الشيوخ لمصلحة اقتراح ارسال النبيل جيرولامو تزورتسي G.tzortsi الى صديقه فارس بيك حاكم البوسنة العثماني لتجنيد ٥٠٠٠ مقاتل من المرتزقة الاتراك والبوسنيين ،لكن المعارضة اقنعت المجلس والنائب العام انطونيو ترون استطاعت منع تنفيذ الاتفاق ([١٧]) وفي تلك الاثناء عندما وصل خبر الهزيمة الى اسطنبول استدعى السلطان بايزيد الثاني السفير البندقي لمقابلته وابلغه بانه على استعداد لمساعدة الجمهورية ([١٨])

ظلت الامور على هذا المنوال حتى كانون الاول ١٥٠٩ حيث تم ارسال زورتسي الى البوسنة ،اذ استقبله فارس بيك بحفاوة ،وبالرغم من انه لم يستطع ان يلتزم بشي عن المساعدة العسكرية دون امر صريح من السلطان فانه سمح له بتجنيد مائة رجل بقيادة الكونت جوفاني نينادیتش ([١٩])فالاوضاع في اسطنبول لم تعد ملائمة لمفاتحة السلطان بايزيد الذي بدأ ابنه البكر كركود بالخروج عليه في محاولة لانتزاع العرش من والده ([٢٠])وما زادت الامور اضطرابا في اسطنبول الهزة الارضية التي شهدتها في الرابع عشر من ايلول من العام نفسه ودمر الكثير من المباني ،واستمرت الهزات الارتدادية لمدة شهر ونصف لاحقين حتى ان السلطان أمر بنصب خيام خفيفة في حدائق قصر طوب قابو لتجنب المخاطر ([٢١])

وبالعودة الى البندقية نجد ان عناصر المقاومة الشعبية قد نالت من جنود الامبراطورية الرومانية منالا عظيما ([٢٢]) كما انقذها ايضا من الدمار المحتم ايضا وقوع الخلاف بين الحلفاء بعد الانتصار في معركة اجناديلو ثم تحول البابا عن خطته بعد ادراكه خطأ السياسة التي انساق اليها حين دعا دولا اجنبية لغزو

الاراضي الايطالية ،كما انه وجد انه نجح في تحقيق اهدافه من حلف كامبريه اذ استولى على الواقع والمناطق التي اراد ان يجعل منها مراكز امامية للدفاع عن الممتلكات البابوية وهي مناطق رافينا وريميني وفاينزا فاصبح الاستمرار بالحرب ضد جمهورية البندقية غير ذا جدوى ،وادرك ان بقاء البندقية باسطولها المتفوق يعتبر بمثابة الذرع الخاص ضد تجاوزات العثمانيين في المستقبل ،فانسحب البابا من التحالف وقبل بالصلح مع البنادقة في في الحادي عشر من شباط ١٥٢١([٢٣])

وفيما يتعلق ببقايا كتيبة المرتزقة العثمانيين الذين يقودهم نينادیتش فقد بقيت تقاتل الى جانب البنادقة حتى نيسان ١٥١١،وقد نالوا اعجاب من يقاتلون الى جانبهم وبلغ تأثير ونفوذ فارس بيك عند البنادقة الى الحد الذي توجهت اليه ايزابيلا ديسته زوجة فرانشيسكو دي ..... ماركيز مقاطعة مانتوفا (١٤٨٤-١٥١٩) وكان اسيرا لدى البنادقة فتوسط له وخلصه من الأسر ، واذا علمنا بأن البابا يوليوس الثاني قد تكلف بأمر الوساطة ايضا ندرك مدى المنزلة التي بلغها فارس بيك ([٢٤])

وخلال العامين ١٥١١-١٥١٢ بلغ الاقتتال بين ابناء بايزيد (كركود – احمد – سليم) اشده ، وقد استقرت الامور للامير سليم فتوج سلطانا في الخامس والعشرين من نيسان١٥١٢([٢٥])،واستهل السلطان سليم عهده باستدعاء السفير البندقي وجدد معه معاهدة الامتيازات بين الطرفين عام ١٥١٣ ،واعقب ذلك بان ارسل سفيرا الى جمهورية البندقية هو المترجم الامبراطوري علي بك ،بمهمة رسمية هي حضور مراسيم القسم على معاهدة السلام ،ولكن الهدف السري هو عرض خدماته اذ عرض السلطان عن طريق السفير العثماني قواته النظامية وليس قوات الأقنجي (المرتزقة) الذين يغيرون على الحدود والباحثين عن الغنائم،وبالرغم من ان مجلس الشيوخ البندقي أعلن موافقته على العرض الذي قدمته الحكومة العثمانية ، وتم تسليم السفير الفي دوقيه مع وعد بمعاش تقاعدي سنوي اذا لم يوفق في العملية ([٢٦])

لكن ما يجب قوله هو ان التحالف العسكري الموما اليه لم يتم ،فالعصبة التي تشكلت ضد البندقية بعد أن انحلت تحولت وجهتها ضد فرنسا ، في اطار ما سمي بالحلف المقدس الذي تشكل في الخامس من تشرين الاول ١٥١١ وضم كل من البندقية واسبانيا وانكلترا وغيرهم ([٢٧]) وما يضاهي ذلك في الاهمية هو ان السلطان سليم أخذت وجهة طموحاته التوسعية نحو الشرق حيث ظهر الصفويون والمماليك كقوى جديدة منافسة في المنطقة من جهة ([٢٨]) وبلغ الصدام مع البرتغاليين الى حد الحرب السافرة أيضا ([٢٩]) وبذلك فقد ابتعدت جهات اهتمام الطرفين حقبة من الزمن،لاسيما وقد انشغلت البندقية ايضا في قتال الفرنسيين الذين يحتلون مناطق بريشيا وفيرونا وميلان طيلة السنوات ١٥١٤-١٥١٦ حيث تم توقيع الصلح الذي اعقب معركة مارجنانو Marignano التي هزم فيها الفرنسيين . ([٣٠])

ولما كان فتح العثمانيين لمصر عام ١٥١٧ أحدى ثمار التوجه العثماني نحو الشرق ، وبما ان العلاقات التجارية مع مصر ذات شأن بالنسبة للبنادقة ،فغداة الفتح العثماني توجه ممثل البندقية في الاسكندرية على رأس وفد ،ضم فضلا عنه قنصلها في القاهرة بارثلميو كانتارينو B.Cantareno والشام ألفير ماكينغوA.Macenigo لمقابلة السلطان سليم ، وبعد ان قدم الوفد فروض الولاء للسلطان ،أثار الاخير موضوع مساعدة البنادقة للمماليك ،من خلال وصول سفنهم للاسكندرية حاملة الذهب والفضة طالبة التوابل ،فما كان منهما الا واوضحا للسلطان بأن دولتهما دولة تجارية تهمها مصالحها الاقتصادية ولا تتدخل في الصراع القائم ،ويبدوا ان السلطان قد اقتنع بهذه الحجج ([٣١])ولم يعارض طلباتهم التي تضمنتها معاهدة جديدة وقعها الطرفان في الثامن من ايلول ١٥١٧ ،ومما نصت عليه تلك المعاهدة التي تألفت في اثنان وثلاثون مادة على كل ما كان للبنادقة من حقوق وامتيازات واعفاءات نصت عليها المعاهدات المعقودة سابقا مع المماليك والعثمانيين ([٣٢])

لم يدم عهد السلطان سليم طويلا اذ توفي عام ١٥٢٠ وارتقى العرش بعد ابنه الوحيد سليمان الاول ١٥٢٠-١٥٦٦مدشنا أكثر عهود الامبراطورية تألقا ،بعد ان تحول بخط توسعاته مرة أخرى تجاه الغرب الاوربي ،وفي الواقع لم يأتي ذلك التحول من فراغ او املته الظروف الطارئة ،ولكن لما شهده القرن السادس عشر من متغيرات عديدة على حدود الدولة العثمانية في البحر المتوسط ووسط اوربا ،الامر الذي فرض نفسه على العثمانيين بوجوب اتقاء أثر تلك المتغيرات من جهة ،واستغلالها للتوسع في احيان اخرى ([٣٣]) وتتمثل تلك المتغيرات بنشوب الصراع بين العاهلين فرانسوا الاول (١٥١٥-١٥٤٧) ملك فرنسا، وشارل الخامس (١٥١٩-١٥٥٦) ملك اسبانيا حول اللقب الامبراطوري ،واستعانة الملك الفرنسي ضده بالسلطان العثماني ، التي توجب التفاهم بين الطرفين ضد شارل الخامس الذي يمثل العداء له قاسما مشتركا بين الطرفين ([٣٤]) والى حد ما يمكن القول ان سياسة الدولة العثمانية تجاه البندقية كانت تدخل في اطار ذلك الصراع .

شهدت العلاقات العثمانية البندقية في عهد السلطان سليمان انعطافة مهمة ،وبدأت المناوشات العثمانية البندقية في عهد السلطان سليمان القانوني في اطار الصراع العثماني – الاسباني على السيطرة والنفوذ في البحر المتوسط , واستهل العثمانيون عملياتهم عندما قاموا بطرد فرسان القديس يوحنا ([٣٥])من جزيرة رودس عام ١٥٢١ في الحادي والعشرين من كانون الاول ١٥٢١ ،وقد اعد السلطان العثماني للحملة عدتها الدبلوماسية ،وفيما يتعلق بالبندقية فقد عقد معها معاهدة جديدة في كانون الاول ١٥٢١ ،وفيها تم تجديد كافة الامتيازات السابقة للبنادقة في الدولة العثمانية ،وتطرقت الى اهمية مكافحة اعمال القرصنة وتعهدت البندقية بعدم ايواء سفن القراصنة المالطيين والكروات ([٣٦]) وكان التوقيت ملائما للحملة العثمانية ،اذ كانت

كل من فرنسا واسبانيا مشغوليتين في الحروب الايطالية ([٣٧]) في حين كانت البابوية واسبانيا ايضا كانت مشغولتين في قمع حركة مارتن لوثر. ([٣٨])

على ان معاهدة الامتيازات العثمانية – البندقية لم تكن تعني بأنه كفت ايدي البنادقة تماما عن مساعدة فرسان القديس ،ومن الاشارات التاريخية التي تأتي في هذا السياق ،هي جهود مهندس المدفعية البندقي غابريل تاديني دي مارتنيغو G.T .Martineng الذي ادار المدفعية وضبط مدياتها لتغطي جميع المواقع خارج الاسوار،ولما كان جهود المقاومين قد تم تقسيمها الى ثمان مجموعات على اساس لغوي كل منها تتولى حماية جهة معينة ،ولما كانت الايطالية هي احدى تلك اللغات فهذا يعني ان هناك عناصر سواء بندقية كانت او من غيرها من بقية الدويلات الايطالية تتولى الذود عن الجزيرة ضد العثمانيين .([٣٩])

كان النجاح العثماني سريعا في حملة رودس التي استمرت بين الرابع والعشرين من حزيران وحتى الاول من كانون الاول ١٥٢١ ، وتم الاتفاق بعد الفتح مع فرسان القديس في الحادي والعشرين من كانون الاول ١٥٢٢ على السماح للفرسان بالجلاء عن الجزيرة بكل معداتهم خلال اثنا عشر يوما على سفنهم وسفن عثمانية ،مع بقاء العثمانيين خارج المدينة حتى يتم الجلاء الكامل ،ومن اراد البقاء فله الحرية في ذلك مع اعفائه من الضرائب لمدة خمس سنوات نمع منحه الحرية الدينية بممارسة عقيدته . ([٤٠])

ادى ذلك النجاح العثماني الى فتح الطريق لهم للمزيد من السيطرة على البحر المتوسط ،وتعددت الحملات العثمانية في تلك الانحاء بغية انهاء السيطرة البحرية للبندقية واسبانيا ،ويأتي في ذلك الاطار تعزيز العثمانيين لسيطرتهم في الجزائر بتعيين القائد البحري خير الدين بربروسا ([٤١])على ولايتها عام ١٥١٨([٤٢]) ومن هناك أخذ بربروسا يشن حملاته فاسقط قلعة بينون الاسبانية عام ١٥٢٩ ،وتمكن من فتح تونس والحاقها بالدولة العثمانية عام ١٥٣٣,واذا كان ذلك الضم لم يستمر طويلا اذ تمكن الاسبان من مد سيطرتهم عليها عام ١٥٣٥ بمساعدة البنادقة ([٤٣]) لكن كان ذلك التمدد العثماني كفيلا بالإيحاء بقدرات البحرية العثمانية على تهديد النفوذ الاوربي عامة والبندقي على وجه الخصوص ،ويمكن ان نستدل على ذلك من خلال ما تقدمت به البندقية عام ١٥٣٤ من شكوى الى السلطان العثماني من تصرفات بعض القباطنة العثمانيين الذين خرقوا المعاهدات المعقودة بين الدولة العثمانية والبندقية ومثال ذلك ان قبطانيين هما كولاكسيز احمد kulaksiz Ahmed وكوهود سنان Cohud Sinan قد استدعيا من البحر الادرياتيكي لغرض المحاسبة وكان كولاكسيز الذي كان قبطان مودون قد دمر سفنا تابعة لجمهورية البندقية ،واستولى على سفينتين كبيرتين كانتا في طريقهما الى البندقية .([٤٤])

ثانيا :تأرجح العلاقات العثمانية البندقية ١٥٣٧-١٥٧٠

كان هذا التمدد العثماني في البحر المتوسط كفيلا بأن يثير مخاوف البنادقة لاسيما بعد ان وقع العثمانيون على معاهدة تحالف مع فرنسا في شباط ١٥٣٥ وتضمنت اقرار كافة الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ([٤٥]) فأصبحت بذلك فرنسا الدولة صاحبة الحظوة في البلاط العثماني ،وآية ما نذهب اليه ان بقية الدول عدا البندقية اصبحت سفنها تبحر تحت العلم الفرنسي في المياه العثمانية ([٤٦]) الامر الذي دفع البنادقة ان يمموا وجوههم لمساعدة الملك الاسباني شارل الخامس وأخذوا يمدونه بالمساعدات البحرية ضد العثمانيين ([٤٧]).

وتأسيسا على ذلك شهد مستهل عام ١٥٣٦ مناوشات بين البحريتين العثمانية والبندقية ،وتمثل ذلك بمهاجمة مجموعة من السفن البندقية لسفينة عثمانية تحمل بعثة دبلوماسية عثمانية ،الامر الذي ادى الى استياء السلطان سليمان فأمر قائد البحرية القبودان خير الدين بربروسا عام ١٥٣٧ لمهاجمة الموانئ البندقية بحملة بحرية في حين يزحف هو بحملة بريه وبمساعدة فرنسا ([٤٨]).ويرى البعض ان سبب التوتر الذي انتاب العلاقات العثمانية البندقية هو تقاعس الاخيرة عن نصرة الدولة العثمانية في صراعها الاخير ضد اسبانيا بين الاعوام ١٥٣٣-١٥٣٥ ([٤٩]) ويفسر البعض سبب ذلك التقاعس لان البندقية في الاساس كانت تتبع سياسة مزدوجة ففي الوقت الذي كانت تتقارب فيه مع الدولة العثمانية فانها كانت ايضا تتفاوض سرا مع الاسبان والبابوية ،وقد حسمت امرها عندما تمكن والي البوسنة غازي خسرو بك من فتح جزيرتي صولين وكلسي التابعتين انذاك للبندقية ،محفزا البنادقة في ذلك للانضمام الى التحالف الاوربي عام ١٥٣٧([٥٠]) في حين يرى اخر ان سبب التوتر يعود الى وفاة الصدر الاعظم ابراهيم باشا صهر السلطان والقريب من البنادقة ،وبوفاته لم يعد هناك من يعمل على تطبيع العلاقات بين الطرفين ([٥١]) ويشير البعض ان سبب العداء يكمن في شخصية البابا باول الثالث ،الذي كان يحرض البنادقة باستمرار على العثمانيين ([٥٢])

تحرك القبودان في آيار ١٥٣٧على رأس اسطول مؤلف مما يزيد على اربعمائة قطعة بحرية مختلفة الاحجام والانواع ،وبينما كان الاسطول في طريقة تمكن القائد البندقي القائد للاسطول الاسباني بالاستيلاء على اثنتي عشر سفينة كان يقودها علي كتخدا وكيل ترسانة غاليبولي الذي كان في طريقه للالتحاق بالاسطول واغرقها عن آخرها ،([٥٣])ووصلت تلك الاخبار الى مسامع السلطان وهو في اولونيا فأمر خير الدين بمهاجمة الجنوب الايطالي والسيطرة على برنديزي التي تتحكم بالطرق المؤدية الى بوغليا وكل من نابولي وروما ،([٥٤])ولكن الخطة فشلت بسبب تقاعس الملك الفرنسي عن ارسال جيشه تحسبا للرأي العام الاوربي خشية ان يرميه في دينه بالكفر والمروق اذا ساعد العثمانيين ([٥٥]) ولهذا فقد تحولت فكرة الهجوم العثماني الى جزيرة كورفو اذ امر السلطان بمحاصرتها ،ويرى بعض المؤرخين ان نقطة التحول في الحرب البحرية من اجل

السيادة حدثت حينما أمر السلطان سليمان قواته بالتركيز على تلك الجزيرة البندقية بدلا من ايطاليا ،اذ كانت هدفا مهما للاستراتيجية العثمانية في السيطرة على البحر المتوسط .([٥٦])

وفي هذا الصدد يروي القبودان خير الدين في مذكراته حول تلك الحملة (لما اكتمل استعدادنا للغزو خرجت على رأس الاسطول العثماني بينما خرج مولانا السلطان على رأس جيش كبير حتى بلغ سواحل {بحر} الادرياتيك ،وكانت هذه الحملة تستهدف جمهورية البندقية واسبانيا ،وذلك لان مولانا السلطان كان يريد ان يستولي على ميناء اوترانتو الواقع جنوب شرق ايطاليا بعد ان يفتح البندقية وجزيرة كورفو ....وعندما دخلت الى بحر الادرياتيك لمحت قطعة كبيرة من اسطول البندقية فأمرت على الفور بالهجوم عليه ،فاغرقنا اربعة عشر سفينة من نوع قادرغه ،واستولينا على ستة عشر سفينة اخرى من ذات النوع ،بينما لاذت بقية وحدات الاسطول بالفرار) .([٥٧])

عند وصول اخبار الاسطول العثماني الى اندريه دوريا تحرك الى مسينا Mesina قرب صقلية ،وظل الحصار العثماني على الجزيرة عشرين يوما دونما نتيجة أمام مناعة تحصيناتها ,فقرر السلطان رفع الحصار لحلول الشتاء وعاد الى اسطنبول في الأول من تشرين الثاني ١٥٣٧,وتمكن بربوسا في هذه الاثناء من الاستيلاء على الجزر التابعة للبندقية مثل ثيرا وباتموس وناكسوس وغيرها ([٥٨]) وهاجم ايضا في بحر ايجه عدد من الجزر والمواقع بلغت ثمانية وعشرين مركزا وقلعة تابعة للبنادقة ومن ضمنها جزيرة انجريبوس وتم اسر اعداد غفيرة من الاوربيين بلغ عشرين الف اسير ([٥٩])وفي هذا الصدد يروي القبودان خير الدين في مذكراته حول تلك الحملة (لما اكتمل استعدادنا للغزو خرجت على رأس الاسطول العثماني بينما خرج مولانا السلطان على رأس جيش كبير حتى بلغ سواحل {بحر} الادرياتيك ،وكانت هذه الحملة تستهدف جمهورية البندقية واسبانيا ،وذلك لان مولانا السلطان كان يريد ان يستولي على ميناء اوترانتو الواقع جنوب شرق ايطاليا بعد ان يفتح البندقية وجزيرة كورفو ....وعندما دخلت الى بحر الادرياتيك لمحت قطعة كبيرة من اسطول البندقية فأمرت على الفور بالهجوم عليه ،فاغرقنا اربعة عشر سفينة من نوع قادرغه ،واستولينا على ستة عشر سفينة اخرى من ذات النوع ،بينما لاذت بقية وحدات الاسطول بالفرار) .([٦٠])

امام هذه الهزائم قررت البندقية وبالتحالف مع الامبراطورية الرومانية المقدسة وبتشجيع من البابوية، فتم تشكيل عصبة مقدسة ضمت البندقية واسبانيا والبرتغال لشن الحرب ضد الدولة العثمانية ،واخذت جميع الاطراف تستعد للحرب . ([٦١]) فاستطاعت العصبة تدشين اسطول مؤلف من ٢٤٢ سفينة موزعة كالاتي ٥٢ سفينة ساهمت بها الامبراطورية الرومانية و٧٠ سفينة بندقية و٣٠ سفينة بابوية وساهم فرسان القديس ب١٠ سفن في حين زودت اسبانيا الاسطول ب٨٠ سفينة، وتم تسليح ما يزيد على ٥٠,٠٠٠ مقاتل وبلغ تفاؤل المتحالفون بالنصر الى الحد الذي تمت مناقشة كيفية اقتسام املاك الدولة العثمانية في حالة

الانتصار ,فبقدر تعلق الامر بسهم البنادقة من المناقشة فانهم سيستعيدون ممتلكاتهم التي انتزعها منهم العثمانيين. ([٦٢])

وفي الثامن والعشرين من ايلول ١٥٣٨ شنت قوات العصبة هجومها المضاد على الاسطول العثماني ,اذ وصل اسطول البنادقة اولا ثم تبعهم الاسطول البابوي ,والى تلك الاثناء لم تصل اية اخبار عن تحركات الاسطول الاسباني ،وفي الوقت ذاته قام اميرال الاسطول البابوي جريماني بالهجوم على قلعة بروزه Preveze جنوبي يانيه ثم بدأ بحصارها ، ولما لم يجن شي من الحصار عاد الى جزيرة كورفو فور علمه بوصول الاسطول العثماني ،وبعد ذلك وصل اندريه دوريا في ٢٢ ايلول الى كورفو ومعه تسعة واربعون سفينة اسبانية،وتقدم بربروسا بسرعة نحو بروزه بعد ان قصف جزيرة كفالونيا ،وذلك لعلمه بتجمع سفن المتحالفين فيها ،ولما لم يتمكن اندريه دوريا من الصمود امام نيران السفن العثمانية الكثيفة ،قرر التراجع بما معه من سفن المتحالفين وانتهت بذلك المعركة في ٢٨ ايلول ١٥٣٩ .([٦٣])وبلغت خسائر العصبة فيها بما يزيد على ١٧٠ قطعة بحرية ،واستولى العثمانيون على ٣٨ سفينة من سفن التحالف ([٦٤])

ويروي القبودان خير الدين بربروس قائد المعركة تفاصيلها قائلا (ترامى الى علمي بأن معظم اساطيل اوربا تم حشدها تحت قيادة اندريا دوريا في هذا المكان ،وعلى اثر ذلك ارسلت توغوت رئيس على رأس عشرين قادرغه لاستكشاف الامر ،الا انني لم اطق صبرا الى حين عودة توغوت فانطلقت باسطولي من اغريبوز وقمت بمسح جزيرة موره ,وفي الوقت الذي وصلت فيه الى مودون كان الصليبيون قد حشدوا قواتهم في سواحل كورفو ،فانطلقت من مودون وقطعت جنوب سواحل موره متجها شمالا حتى دخلت خليج أرتا ،كانت قلعة بروزه تقع ف الزاوية الشمالية الغربية من هذا الخليج الصغير ،كما كان مدخلها ضيقا جدا بحيث لم يكن في وسع العدو ان يدخل الى خليج ارتا مالم يقم بتدمير المدافع التركية المنصوبة على اسوار قلعة بروزه وهو ما كان في غاية الصعوبة ،...لقد كان الاسطول { اسطول العصبة } مكونا من اكثر من ستمائة سفينة منها ثلاثمائة وثمانية سفن حربية ،ومائة وعشرون سفينة كبيرة لنقل الجنود ،ويقود بدفع الاسطول الاف الجدافين ،وتم نقل ستين الف جندي على متن هذا الاسطول ....كان لدي مائة واثنتان وعشرون سفينة من نوع قادرغه ،ولم يكن لدي سفن لنقل الجنود ...اما عدد المقاتلين فقد كان لدي عشرون الف جندي من رجال البحر والمدفعيين ما عدا الجدافين ...كان العدو متفوقا علينا من عدة نواحي ،الا اننا كنا نتفوق عليه في جوانب اخرى اهمها انني كنت متحكما في جميع وحدات اسطولي ،فقد كان بامكاني ان اطلب اي قادرغه مهما كانت بعيدة وبازاء هذا كان العدو على خلاف ذلك ...ومن جهة اخرى كان جنود العدو لايفهم بعضهم لغة بعض ،كما ان كبير اميرالات البندقية فينسانتي كابيلو V.Capello وقائد اسطول البابوية غريماني ماركو

G.Marco كانا يكرهان دوريا ...واما عامل تفوقنا الاخر فقد كان مدى مدافعنا اطول من مدى مدافع العدو ...لقد جعل هذا الفارق بحارتنا يعملون السيف في رقاب العدو ...) ([٦٥])

اذا كانت معركة بروزه قد انتهت خلال خمس ساعات ،بيد ان العمليات الحربية بين الطرفين لم تنتهي بها ،ففي عام ١٥٣٩ خرج القبودان خير الدين بربروس على رأس اسطول وتوغل في بحر الادرياتيك ،واستطاع انتزاع قلعة نوفا Nova من جمهورية البندقية ،وكانت هذه الحملة آخر حملات الحرب العثمانية – البندقية التي اندلعت منذ عام ١٥٣٨ .([٦٦]) فقد اضطرت البندقية الى طلب الصلح من العثمانيين في المفاوضات التي انتهت في العشرين من تشرين الاول ١٥٤٠ ،وتضمنت قبول البندقية بدفع مبلغ ثلاثمائة الف دوكا كتعويضات عن خسائر الحرب ،وتنازلت عن مطالبها في الجزر التي استولى عليها العثمانيين في الموره مثل كورفو وزانتا ،كما اعترفت بالتوسعات العثمانية في بحر ايجه ،مقابل الاعتراف العثماني بالامتيازات التجارية للندقية في الاراضي العثمانية كما كانت قبل الحرب ([٦٧])

لم تتابع الدولة العثمانية نجاحاتها وانتصاراتها البحرية لعشر سنوات لاحقة ،اذ لم تكن هناك مصادمات بحرية كبرى خلال تلك الحقبة حتى عام ١٥٥٠ ،سوى بعض الحملات المحدودة التأثير التي تدخل ضمن اطار ابداء المساعدات للفرنسيين ضد الاسبان([٦٨]) ولعل من اسباب ذلك اندلاع الحرب مع الصفويين عام ١٥٤٥ في الشرق ([٦٩]).فضلا عن وفاة القائد البحري القبودان خير الدين بربروس عام ١٥٤٦ ([٧٠]) ويدعم ذلك الضعف الذي اخذت تشهده جمهورية البنادقة وعدم قدرتها على تهديد الممتلكات العثمانية انذاك ،ف(مدينة القديس مرقص { البندقية } لم تنهض من عثرتها منذ عشرين عاما) وفق رؤية أحد المتخصصين بتاريخها ([٧١]) وما يمكن ان يضاف لكل تلك العوامل الحرب التي اشتد أوارها بين العثمانيين والبرتغاليين في البحر الاحمر والمحيط الهندي وتطلبت منهم توجيه جهدهم الرئيس نحو الشرق ([٧٢]) فكان لكل تلك العوامل أثرها وتأثيرها في نقل النشاط العسكري العثماني بعيدا عن جبهة البحر المتوسط .

وما يؤيد ما نذهب اليه ان خير الدين بربروس عندما خرج بحملته لمساعدة فرنسا في صراعها ضد اسبانيا بين عامي ١٥٤٣ – ١٥٤٤ على رأس اسطول مكون من ١٥٤ قطعة بحرية ويحمل ما يزيد على تسع وعشرون الف مقاتل ،وقد وصل الاسطول مدينتي مسينا Messina وريجيو Reggio في العشرين من حزيران فاستسلمت له المدينتان الايطاليتان ,ووصل في تقدمه على مسافة ١٥كم من روما دون ان تحرك البندقية أي ساكن([٧٣]).ثم استمر في طريقه الى ميناء نيس الفرنسي لفك حصار الاسبان عنه ([٧٤]) وتأسيسا على ذلك يكون صحيحا للغاية ما صرح به احد المسؤولين الفرنسيين للسلطان سليمان عام ١٥٤٧ عن (ضعف قوات البنادقة وتناقص عظمتهم) ([٧٥])

وطيلة السنوات ١٥٥٠-١٥٥٨ دخلت البحرية العثمانية بصراع بحري مع البحرية الاسبانية واستطاعت ان تنتزع منها عدد من المواقع المهمة في اعالي البحر المتوسط (٧٦)الامر الذي اشعر البنادقة بأن خطر العثمانيين أخذ بالتعاظم ،ففي عام ١٥٥٨ توغل الاسطول العثماني في غرب البحر المتوسط وان حكومة الجمهورية بات عليها ان تتخذ من الوسائل ما يكفل الدفاع عن كورفو وقبرص وكريت وهي آخر الجزر التي تسيطر عليها البندقية (٧٧)

وتأكدت مضان الحكومة البندقية بعد فشل التحالف الذي ضم كل من اسبانيا ومملكة نابولي والمانيا ومالطا والبابوية وفلورنسا في تحقيق الانتصار على العثمانيين في معركة جربة البحرية التي دارت رحاها قرب جزيرة جربة في الرابع عشر من آيار ١٥٦٠رغم المساعدات السرية التي قدمتها البندقية للحلفاء (٧٨) بأنهم سيبحثون عن حليف جديد وكانت تعتقد بأنها ستكون هي المرشحة لهذا الدور ,ومن هنا تجددت الدعوات من روما لاحياء فكرة العصبة المقدسة ضد العثمانيين اثناء المباحثات التي جرت بين البابا الجديد بيوس الرابع ١٥٥٩-١٥٦٥ والملك الاسباني فيليب الثاني وجمهورية البندقية (٧٩)

لكن وبالرغم من اهمية الانتصار الذي تم في جربه على التحالف الاوربي الا ان الظروف في الشرق قد اضطرت العثمانيين مرة اخرى الى تقليص نشاطهم في البحر المتوسط ،ولدرجة ان الاسطول العثماني وطيلة السنوات ١٥٦١-١٥٦٤ لم يغادر مرافئه (٨٠) ويمكن ان يعود ذلك الى تجدد الاشتباك بين اولاد السلطان بايزيد وسليم (٨١) او بسبب الهدنة التي تم توقيعها مع الاسبان منذ عام ١٥٦٠ ،فضلا عن ان سنة ١٥٦١ كانت ذات موسم حصاد سيئ للغاية في انحاء الدولة كافة ،وشهدت خلافات مع البنادقة حول الحبوب بسبب المجاعة ،ولابد ان يؤثر ذلك كله على خطط السلطان وينعكس على جهات القتال . (٨٢)

لكن سيادة الدولة العثمانية وامنها الاقليمي يتطلب اتمام السيطرة على الطرق الملاحية في البحر المتوسط ،مما يؤمن حرية الملاحة وسلامتها الى جانب تأمين طريق الحج الرئيس ,وبالطبع لن يتسنى لهم السيطرة على هذه الاستراتيجي الهام سوى باتمام السيطرة على الجزر الهامة ذات الموقع المتوسط بين اسطنبول وباقي سواحل ذلك البحر ،هذا الى جانب الحد من نشاط سفن جمهورية البندقية وقراصنتها الذين انتهكوا اكثر من مرة حدود الدولة العثمانية (٨٣)

ومع ذلك فان العثمانيين لم يخفوا رغبتهم في الاستيلاء على الجزر التابعة للبنادقة مثل قبرص ومالطا وكريت طيلة الستينات ،فقد بدأ التفكير في اسطنبول في فتح قبرص منذ عام ١٥٦٢ ،وفي سنة ١٥٦٤ جرت بعض الاستعدادات لشن حملة على الجزيرة لكنها لم تتم (٨٤)

ومهد العثمانيون لمشاريعهم تلك بالاستيلاء على جزيرة مالطا التي كان يسيطر عليها فرسان القديس يوحنا بعد ان طردهم العثمانيون من جزيرة رودس ،وقد اقاموا فيها الاساطيل الكبيرة،وانضموا لاي دولة تحارب الدولة العثمانية ،وبما ان جزيرتهم تقع على الطريق ما بين مصر وطرابلس الغرب والجزائر فكانوا يهاجمون السفن المارة من هناك ،وبناء على ذلك صدرت الاوامر من اسطنبول بوجوب ضم الجزيرة وتحرك الاسطول لمهاجمتها في ابريل ١٥٦٥ ،ولكن الحملة بائت بالفشل بعد تحرك الاسطولين الاسباني والبابوي لفك الحصار عنها (٨٥)

وللسبب ذاته توجهت حملة عثمانية نحو جزيرة ساقز المشرفة على ساحل الاناضول واكتفو في بادئ امرهم بأخذ الجزية من البنادقة الذين يسيطرون عليها غير ان توقف امراء الجزيرة عن دفع الجزية فضلا عن مساعدتهم لفرسان القديس اثناء حصار مالطا دفع العثمانيين للسيطرة على الجزيرة وارسل القائد بيالي باشا لهذا الغرش في ابريل ١٥٦٦ فاستولى عليها وعين مظفر بك سنجق قير شهر حاكما عليها . (٨٦)

كانت جزيرة قبرص من اكبر ممتلكات جمهورية البندقية (٨٧) واكثرها اهمية بالنسبة للموقع الاستراتيجي ،وبالنسبة لوفرة الانتاج كانت ارضها تنتج كميات كبيرة من الزيت والقمح والقطن وترسل الى البندقية ايرادا سنويا يزيد على ٣٦,٠٠٠ بندقي (٨٨)

كانت قبرص تمثل وكرا للدسائس والقراصنة الذين يستهدفون العثمانيين في حال اندلاع الحرب بين الاخيرين واوربا , كما انها كانت تقطع طريق الاناضول – مصر البحري بعمليات سلب واعتداء ومثال ذلك تعرض تعرض سفنها للسفينة التي كانت تقل دفتر دار مصر ومع ذلك فان العثمانيين لم يخفوا رغبتهم في الاستيلاء على الجزر التابعة للبنادقة مثل قبرص ومالطا وكريت طيلة الستينات ،فقد بدأ التفكير في اسطنبول في فتح قبرص منذ عام ١٥٦٢ ،وفي سنة ١٥٦٤ جرت بعض الاستعدادات لشن حملة على الجزيرة لكنها لم تتم (٨٩) ويذكر المؤرخ اسماعيل سرهنك حادثة اخرى في هذا الشأن ومفادها ان السلطان عندما كان واليا على كوتاهيه في فترة ولايته للعهد فقد اغتصب قراصنة هذه الجزيرة خيوله والاشياء الثمينة التي اشراها من مصر ولم يتمكن من استردادها الا بصعوبة فلما وصل الى كرسي السلطنة وحدث من سكان تلك الجزيرة ما حدث من قطع الضريبة صمم على اخضاعها . (٩٠) فضلا عن ان وجود مستعمرة لاتينية من بقايا الحروب الصليبية في شرق البحر المتوسط لم تعد امرا مقبولا (٩١) واخيرا فهناك ما يتعلق بالادعاءات الدينية العثمانية المتعلقة بوجود قبور لعدد من الشهداء المسلمين الذين استشهدوا ودفنوا هناك اثناء الفتح الاسلامي للجزيرة ،ومما كان يوغر صدور العثمانيين في هذا السياق ايضا هو اعتراض فرسان القديس من الجزيرة للسفن التي تنقل الحجاج الاوربيين المتوجهين لاداء فريضة الحج (٩٢)

الى جانب كل ما ذكرنا فهناك بعض الاصوات التي اخذت تتعالى محرضة السلطان سليم لضم الجزيرة ،وفي مقدمة هؤلاء اليهودي جوزيف ميكاس ([٩٣]) الذي كان يهدف من وراء ذلك اقامة وطن قومي لليهود في الجزيرة ويكون هو ملكا عليهم ،ومن المهم قوله ان على الجهة المقابلة كانت هناك ايضا اصوات معارضة لمشروع ميكاس باحتلال الجزيرة واستبدال ذلك بمساعدة المورسيكيون Moriscos([٩٤]) في اسبانيا ،وفي مقدمة هؤلاء الصدر الاعظم محمد صوقللو باشا الذي كان في الوقت ذاته صديقا للبنادقة ([٩٥])

بدأ العثمانيون في سياق الاعداد للحملة ،باعادة ترتيب اوراقهم الدبلوماسية ،فعملوا على تجديد التحالف العثماني – الفرنسي الذي كان قد اصابه الفتور منذ التقارب الذي تم بين فرنسا واسبانيا قبل سنوات قليلة ([٩٦]) وفي الوقت الذي كان فيه الاسبان والبابوية عاجزين عن التدخل بعد هزيمة جربة ،كما ان النمسا لا تستطيع التخلي عن الامتيازات التي حصلت عليها من الدولة العثمانية انذاك ،بموجب المعاهدة المعقودة بين الطرفين في السابع عشر من شباط ١٥٦٨ ,ومما ورد فيها ان تحتفظ النمسا باملاكها في البحر مقابل دفع جزية للدولة العثمانية واعترافها بتبعية ترانسلفانيا وامارتي الدانوب للدولة العثمانية ايضا ([٩٧]) وفي سياق التحضيرات الدبلوماسية ايضا استطاعت الحكومة العثمانية تجديد الهدنة مع بولندا ([٩٨]) وفي الشرق استطاعت الدولة العثمانية ان تنهي القلاقل والتمردات التي نشبت في اليمن بينها عام ١٥٧٠ ([٩٩])

جهز العثمانيون اسطول ضخم تألف من ٤٠٠ قطعة بحرية ،و تولى قيادته الداماد بيالي باشا ،اما الجيش البري فقد تولى قيادته الوزير لاله مصطفى باشا ،وكان الاسطول يحمل ١٠٠،٠٠٠ مقاتل منهم ٦٠،٠٠٠ مقاتل مشاة والبقية بحرية وجدافة ،وتحرك الاسطول من اسطنبول في الخامس عشر من ايار ١٥٧٠ ،وعلى الجانب الاخر حشد البنادقة مايزيد على ٢٤٠ قطعة للدفاع عن قبرص ،وكانت الحامية البندقية في الجزيرة لا تتجاوز ١٠،٠٠٠مقاتل ([١٠٠]) وفي غضون ذلك وصل المبعوث العثماني جاويش قباذ الى البندقية لايصال المطالب العثمانية في السابع من اذار ١٥٧٠ ،وتضمن الانذار وجوب تسليم البنادقة للجزيرة او الحرب ([١٠١]) لكن المبعوث العثماني لم يجد اذنا صاغية اذ تم رفض المطالب العثمانية من قبل مجلس الشيوخ البندقي اذ صوت بواقع ١٩٩ صوت معارض للمطالب من مجموع ٢٢٠ صوت ومما ورد في رفضها ([١٠٢])(ان الجمهورية مصرة على الدفاع عن حقها الشرعي في جزيرة قبرص) ([١٠٣]) وبدت الامور وكأنها اخذت تتجه نحو الحرب .

كان البندقية يحدوها أمل قوي في انها ستظفر بمساعدات حربية فعالة سوف تترى عليها من دول اوربا ،وبخاصة من اسبانيا والبابوية والدويلات الايطالية ،ووجدت تشجيعا من البابا بيوس الخامس ،فقد وعدها بتدبير اعتمادات مالية لتجهيز اثنتي عشر سفينة حربية ،واذن لها في فرض ضريبة العشور على رجال الدين في البندقية لمساعدتها في المجهود الحربي ،واتصل باسبانيا والدويلات الايطالية لتقديم مساعادات عسكرية للبندقية ،ومن الافكار التي طرأت في مخيلة البابا هو مفاتحة شاه فارس وامام اليمن لاثارة مشكلات سياسية

للسلطان العثماني في الجهات الشرقية فينصرف عن مشروع غزو قبرص ،وقد كثرت الاقاويل في الدوائر الاوربية عن قرب تكوين حلف اوربي ضد العثمانيين لمواجهتهم ([١٠٤])

لم ينتظر السلطان حتى يعود مبعوثه من البندقية ،بل بادر باتخاذ الاجراءات التقليدية وهو اعتقال جميع رعايا البندقية واحتجاز سفنها الراسية في الموانئ العثمانية ودلالات هذا الاجراء هو قطع العلاقات بين البلدين واعلان حالة الحرب ([١٠٥]) ويعتقد ان مما عجل بالسلطان لاتخاذ تلك الاجراءات هو الحريق الذي شب ليلة الرابع من ايلول ١٥٦٩ في ترسانة السفن البندقية ،وانتشرت شائعات كاذبة بأن اغلبية القطع البحرية البندقية قد التهمتها النيران ،لكن مما تجدر الاشارة له هو ان البندقية لم تخسر سوى اربعة سفن في ذلك الحريق ([١٠٦]) الذي يعتقد بأنه كان من تدبير اليهودي جوزيف ميكاس ([١٠٧])

وفي الاول من تموز وصل الاسطول العثماني الى المياه القبرصية ،وفي الثالث منه بدأت عملية انزال الجنود ،وسقطت نيقوسيا Nicosiaعاصمة الجزيرة بعد حصارها للفترة بين الثاني والعشرين من تموز وحتى التاسع من ايلول ١٥٧٠ ،وفي غضون ذلك قتل حاكم الجزيرة البندقي نيقولا داندلو N. Dandilo وسقطت تباعا مدن ليماسول ولارنكه واكروتيل ([١٠٨])

تركزت المقاومة في الجزيرة في مدينة فاماجوستا Famagosti ،اذ انها من اكبر الموانئ وكان بقائها في يد الحامية البندقية يجعل وصول الامدادات اليها أمرا ممكنا ،كما ان موقع هذا الميناء وفقا لخطة الهجوم العثماني يهدد مؤخرة الجيش العثماني ,ومايضاهي ذلك في الاهمية ان قيادة الحامية رأت وجوب الاستفادة من التحصينات التي شيدها حول فاماجوستا مهندس حربي بندقي هو جيوفاني جيرولا ميشيل G.Mecheil فجعل منها (أمنع المدن كلها) على حد وصف شريف فرنسي زارها عام ١٥٦٧ ،وسماها معاصرون (البلد المنيع) ([١٠٩]) لهذا ليس من الغريب اذن ان يستمر الحصار العثماني لها من السادس عشر من ايلول ١٥٧٠ وحتى الاول من اب ١٥٧٠،اذ اضطر قائدها البندقي مارك انطوان براجادينو M.Bragadino الى تسليم المدينة بعد استبساله مع حاميتها في الدفاع عنها بأروع صور البطولة ([١١٠]) بعد انعدام النجدات البندقية عدا المحاولة التعرضية التي قام بها الاسطول البندقي في كانون الثاني ١٥٧١ على كونستانزا Conistanza شمال فاماجوستا ،واسفرت عن تحطيم ثلاث سفن عثمانية ([١١١])

نصت شروط التسليم على السماح للرجال من الحامية ومن يرغب من المدنيين بمغادرة الجزيرة على اربعة عشر سفينة عثمانية تنقلهم الى جزيرة كريت خلال ثلاثة ايام ، ومما يجب قوله بأن العثمانيين لم يحترموا شروط التسليم وأقاموا مذبحة كان من بين ضحاياها قائد الحامية براجادينو نفسه ([١١٢]) وبفتح قبرص تم انهاء السيطرة البندقية في شرقي البحر المتوسط الامر الذي دفعها للبحث عن حليف في صراعها ضد العثمانيين .

ثالثا: سياسة الدولة العثمانية تجاه البندقية ١٥٧٠-١٥٧٣

كان سقوط قبرص مدويا على البنادقة ،وذا تأثير ثقيل على مسامع الاوربيين عامة،فيمم البنادقة وجوههم نحو الغرب يطلبون المساعدة ضد العثمانيين ودخلوا بمفاوضات طويلة مع اطراف العصبة المقدسة بعد فشل مفاضاتهم مع العثمانيين ([١١٣]) وتوصلوا معهم الى اتفاق تم الاعلان عنه في الخامس والعشرين من ايار ١٥٧١ في روما وبمباركة البابا بيوس الخامس الذي أكد لاطراف التحالف بأنه (لا توجد في العالم المسيحي أية دولة مسيحية يمكنها ان تقف لوحدها تجاه العثمانيين ، وبناء على ذلك يجب على كافة الدول المسيحية ان تتحد لكسر الغزو التركي ...) وضم كل من البندقية و اسبانيا ونابولي وصقلية ونابولي وجنوه وتوسكانيا وفرسان القديس يوحنا ([١١٤])

وبقدر تعلق الامر بالبندقية في ميثاق الحلف المقدس ،فعندما تمت صياغته فقد أطل الاختلاف بين المتعاقدين حول الاهداف المتوخاه من الحلف واسبقية تحقيقها ,ففي حين أصر الملك الاسباني فيليب الثاني ان توجه قوات التحالف ضد تونس في البداية لالحاقها باسبانيا ،لكن تدخل البابا اقنعه بوجوب الاقلاع عن تلك الفكرة ووجوب البدء باسترداد ممتلكات جمهورية البندقية التي اقتطعت منها لاسيما قبرص ،وتم الاتفاق في الميثاق على عدد القطع البحرية التي يجب على كل طرف تقديمها مع عدد المقاتلين الواجب ارسالهم للقتال ،وجرى الاتفاق ايضا ان تكون مدته اثنا عشر عاما ،ولا يوقع اي طرف من الاطراف معاهدة سلام مع العثمانيين دون علم جميع الاطراف ،وتم تسليم قيادة قوات الحلف للقائد البحري دون جوان النمساوي Don Guan وتسلمها بالفعل في الثالث والعشرين من آب ١٥٧١ ،بعدها اخذت الاساطيل تحتشد في مياه مسينا قرب جزيرة صقلية ابتداء من الخامس عشر من ايلول ١٥٧١ ([١١٥])

بدأت تحضيرات حكومات العصبة المقدسة واخذت الاساطيل بالتشكل ،فكانت اساطيلها تضم ٢٩٥ قطعة بحرية وثلاثون الف مقاتل و١٦،٠٠٠ جداف و٢٠٨ من السفن الحربية من نوع قادرغه ،منها ١١٤ بندقية و٧٠ اسبانية و١٢ بابوية و٦ مالطية و٣ جنوية و٣ سافوية ،وكان الاسطول البندقي يقوده الاميرال ماركو انطونيو M.Antonio ويقود الاسطول الاسباني اندريه دوريا ، وكان الاميرال الصقلي كوردانو Cordanio على رأس اسطول مؤلف من ثماني سفن ،في حين كان الاميرال مارك بازانو M.Bazanoمن نابولي يقود اسطول الاحتياط المؤلف من ٣٠ قطعة بحرية ([١١٦])

اما الهيكلية الحربية للاسطول والقوات العثمانية فكانت تتألف من ٣٥٠ قطعة بحرية عثمانية مختلفة الاحجام والانواع ،ويدعمه اسطول يقوده باي الجزائر أولوج علي متجها الى قبرص ونيجربونتي اللتان اصبحتا قاعدتان متقدمتان للبحرية العثمانية تجاه شمال وغرب البحر المتوسط ([١١٧]) وفي صيف عام ١٥٧١ وصلت

المعلومات الاستخباراتية الى اسطنبول عن تجمع الاسطول الاوربي ،فصدرت الاوامر الى قائد الاسطول العثماني برتو باشا بتعقب الاسطول الاوربي ويدميره ([١١٨])

وفي حزيران ١٥٧١ بدأت بالفعل طلائع البحرية العثمانية تصل الى خليج ليبانتو قرب جزيرة كريت ([١١٩]) اما اسطول الحلفاء فقد غادر مسينا في السادس عشر من ايلول ١٥٧١تحت ضغط البنادقة بوجوب ابتداء الحرب وتهديدهم بالانفراد بشن الهجوم اذا اقتضى الامر ،وكان يروم الوصول الى كورفو لغرض الاصطدام بالاسطول العثماني ([١٢٠])

كانت البندقية تتمناها حربا قصيرة وسريعة ،وكان هذا لا يتوافق مع مصالح الاسبان والى الحد الذي كان ذلك يعد خيانة في الفكر العسكري الاسباني انذاك ،وللبنادقة الحق في ذلك اذ ان الحرب مع العثمانيين كانت تعني قطع شريان الحياة التجارية للبندقية مع الشرق ،كما ان تعبئة الاسطول بهذا الحجم كان يعني القضاء على قوتها العاملة ،على العكس من اسبانيا التي لم تكن تجارة البحر المتوسط تعني لها الكثير اذ ان تجارتها الرئيسة كانت مع القارة الامريكية ،وبناء على ذلك فقد كان الضغط العسكري والمادي الذي يقع على عاتق اسبانيا اكثر من البندقية ،ولكن اسبانيا كانت تهدف من وراء العصبة المقدسة هي انها تمثل فرصة مناسبة لرفع شأنها في العالم المسيحي ولمنع البندقية من الانفراد في نتائج الانتصار في حال تمامه على العثمانيين ([١٢١])

ومثلما شهد مجلس عصبة الحلفاء خلافا حول الخطة العسكرية الواجب اتباعها، فقد عاش القادة العسكريين العثمانيين مثل ذلك الخلاف ،اذ انقسموا الى فريقين فريق ضم القادة القدامى الذين حنكتهم التجارب وكان رأيهم يقوم على عدم الاشتباك مع الاساطيل الاوربية واستندوا ف رأيهم هذا ان الاسطول العثماني يضم عددا ضئيلا من الجنود المدربين تدريبا عاليا ،فمن بين الجيش العثماني المتقدم للحرب هناك ٢،٥٠٠ مقاتل مدربين تدريبا مهنيا ،وما تبقى منهم فهم مدربين تدريبا بسيطا ومجهزين باسلحة تقليدية لا تتجاوز السهام والحراب ،اما الفريق الآخر فكان يمثله القائد العام مؤذن باشا وحسن باشا ابن خيرالدين بربروس فكانوا مغمورين بالحماس واستطاعوا حمل مجلس الحرب على اتخاذ قرار بالهجوم على اعتبار ان الرئاسة العامة هي لمؤذن باشا ([١٢٢])

وفي السابع من تشرين الاول ١٥٧١ اشتبك الاسطولان بمعركة عنيفة وخسر فيها العثمانيين خسائر فادحة ،وتقف وراء ذلك اسبابا عديدة اولها ان سفن الاسطول الحربي للعصبة كانت تتمتع بميزة توجيه النيران نحو السفن العثمانية الاوطأ مستوى ،وفي الوقت نفسه كانت محمية من رماة السهام العثمانيين ،وكانت هذه مشكلة لم يكن بمقدور العثمانيين تجاوزها على الرغم من تفوقهم في المزايا القتالية على غيرهم ،كما حدث في بريفيزا عندما استطاع القائد البحري خير الدين من احباط خطط اندريا دوريا في مخادعة

بارعة ([١٢٣]) وبلغ عدد القتلى والغرقى بحدود عشرين الفا ،ومن بينهم القائد العام مؤذن باشا ،واطلق سراح عدد يتراوح ١٢،٠٠٠- ١٥،٠٠٠ من الاسرى المسيحيين الذين كانوا في حوزة العثمانيين ،ومع ان العصبة قد انتصرت لكن خسائرها كانت فادحة ايضا ،اذ خسرت ايضا عدد كبير من قواتها مع عدد من قادتها وعلى رأسهم القائد البندقي باربايجو ومعه سبعة عشر قائدا بندقيا ،كما ابيدت فرقة القديس يوحنا التي جاءت من مالطا عن بكرة ابيها ([١٢٤])

وما يمكن قوله ايضا بشأن نتائج المعركة فان خسارة الدولة العثمانية لم تكن خسارة مادية فقط وانما معنوية ،اذ زالت شهرتها بكونها دولة لا تقهر وثبت فعليا امكان قهرها ([١٢٥]) على ان هناك من المؤرخين من يعارض هذا الرأي وحجتهم في ذلك عدد من الدلائل منها ان القبطان أولوج علي باشا قد عكف وبدعم مباشر من الصدر الاعظم محمد صوقللو بعد المعركة باعادة هيكلة الاسطول العثماني وتم بناء مائة وخمسة وثمانون سفينة ،واخذ طيلة شتاء عامي ١٥٧١-١٥٧٢ باعادة جولاته في المياه الايطالية في محاولة لمهاجمة سفن الدول التي اشتركت في العصبة بعد وصول الاخبار بان الحلفاء يخططون لمهاجمة قبرص او اسطنبول نفسها ([١٢٦])

وهناك من يرى بأن المصادر الغربية قد بالغت في اهمية الهزيمة العثمانية ،وان العالم المسيحي بدأ منذ تلك المعركة بدفع العثمانيين نحو براري اسيا التي قدموا منها ,ولم يمنع القوى الاوربية من استثمار انتصارها العسكري لاستعادة المناطق الشرقية من العثمانيين سوى ارتداد البندقية عن العصبة المقدسة خلال سنة ١٥٧٣ ([١٢٧])

وبعبارة اخرى يرى البعض بان نتائج معركة ليبانتو لم تتعدى تأكيد الوضع البحري الذي بقي بموجبه التفوق في شرقي البحر المتوسط بايدي العثمانيين في حين بقي غربه بايدي الاوربيين ودلالة ذلك استعادتهم لتونس عام ١٥٧٤ ([١٢٨]) ففي الوقت الذي بالغ فيه المؤرخون الغربيون كثيرا حول اهمية الانتصار الاوربي في ليبانتو لكن على ارض الواقع فان العثمانيين سرعان ما استعادوا قدراتهم العسكرية في البحر المتوسط ،ولعل هذا ما اختزله الحوار الذي دار بين الصدر الاعظم محمد صوقللي باشا وسفير البندقية في اسطنبول انطونيو باربارو A.Barbaro الذي زار الصدر الاعظم بعد المعركة محاولا سبر غور الحكومة العثمانية حول امكانية عقد معاهدة سلام مع الدولة العثمانية وقد بادره الصدر قائلا (هناك فرق كبير بين خسارتكم وخسارتنا ،انتصارنا وانتزاعنا لقبرص من ايديكم يمثل قطع ذراع لكم ، وتلك الذراع لا تعود ثانية ،وبايقاعكم الهزيمة باسطولنا في ليبانتو فلم تكن اكثر من قطع شعرة من لحيتنا ،وسوف تنبت اقوى واشد من السابق) ([١٢٩]) ويذهب المؤرخ رونالد جينينجز الى تأكيد مثل هذا الرأي من الناحية الواقعية عندما يقول (لم يتمكن اي

طرف من الاطراف التي اشتركت في ليبانتو من احتلال اراضي ،ولم يتمكن اي واحد منهم من تحقيق فوائد ستراتيجية او يحقق ادنى نجاح مهما كان نوعه،ان العثمانيين لم يجردوا البندقية من اغنى واثرى ممتلكاتها واهم قواعدها البحرية فحسب ،بل انهم حرموا الاطراف المسيحية اللاتينية ايضا من اهم قاعدة لهم في قبرص) ([١٣٠])

ويعلق المؤرخ الفرنسي لافاليه وهو مؤرخ فرنسي لا يكن حبا للعثمانيين على هزيمة العثمانيين في معركة ليبانت بقوله (ان انتصار المسيحية في هذه المعركة كان انتصارا عقيما ،لان الاساطيل المسيحية قد انفرط عقدها قبل ان تتفق على جولة اخرى تخوضها ضد العثمانيين) ([١٣١])وفي عام ١٥٧٣ خرج الاسطول العثماني المؤلف مما يزيد على ٢٥٠ قطعة بحرية مختلفة الاحجام والانواع وابحر نحو المياه الايطالية وهاجم سواحل البندقية ([١٣٢])

ولعل كل ما تقدم فضلا عن الخلافات التي نشبت بين البندقية واسبانيا ([١٣٣]) يفسر لنا سر تقدم البنادقة الى الحكومة العثمانية لتوقيع صلح نهائي معهم ,وبالفعل تم التوصل الى اتفاق وقعه في السابع من ايار ١٥٧٣ نائب البندقية في اسطنبول ومما نص عليه :

١: تدفع البندقية في خلال ثلاثة اعوام ثلاثمائة الف بندقي ،ويمثل هذا المبلغ جزءا من نفقات الحرب التي تكبدتها الدولة العثمانية من اجل استيلائها على جزيرة قبرص.

٢: ترفع الجزية التي تؤديها البندقية من اجل احتفاظها بجزيرة زينتا Zante وتقع على مقربة من شواطئ بلاد المورة من ٥٠٠ بندقي الى ١٥٠٠ بندقي.

٣: تعاد قلعة سوبوتو Sopoto بكافة مدافعها الى جمهورية البندقية .

٤: يعود تخطيط الحدود بين ممتلكات الدولتين في البانيا ودلماشيا الى الوضع السابق.

٥: تتعهد جمهورية البندقية بالمحافظة على المعاهدة المعقودة مع الدولة العثمانية منذ عهد السلطان سليمان

٦: تعفى جمهورية البندقية عن الجزية السنوية التي كانت تدفعها عن جزيرة قبرص

٧: تعاد كافة السفن التجارية والاموال التي تم الاستيلاء عليها اثناء الحرب الى اربابها ([١٣٤])

وما يمكن ملاحظته على بنود ذلك الصلح انها كانت في صالح الدولة العثمانية ،ولعل السر في قبول البنادقة لتوقيع ذلك الاتفاق هو ادراك حكومة البندقية ان الركون الى الدول الاوربية في تحالف معها ضد الدولة العثمانية هي سياسة غير مأمونة العواقب ،اذ سرعان ما تتغلب مصالح الدول المتحالفة وتنسحب تباعا من الحلف ،وآية ذلك تخلي القائد دون جوان عن مشروع مهاجمة جزيرة مودون Modon ([١٣٥])

هذا كله من جانب ومن جانب آخر فان الدولة العثمانية التي استأنفت بناء اسطولها لمعاودة نشاطها المعادي في البحر المتوسط ضد دول العصبة المقدسة وهو النشاط الذي سبق وان شاهدت البندقية كيف حقق العثمانيون سلسلة من الانصارات البحرية طيلة القرن السادس عشر فانتزعوا بها مودون وكورنث ونافارينو وبريفيزا وقبرص ،وخلال كل ذلك الصراع فان الجمهورية البندقية استنزفت الكثير من ثروتها (١٣٦) فان جمهورية البندقية لها ممتلكات في كريت وبعض الجزر الايونية ودلماشيا وغيرها وكانت اشد ما تخشاه ان تخوض الدولة العثمانية جولة جديدة لتنتزع منها هذه المراكز,ثم كانت في نفس الوقت تريد العودة لاستئناف نشاطها التجاري في منطقة حوض البحر المتوسط الشرقي ،فالجمهورية بامس الحاجة لاستيراد قمح البلقان وروسيا ،وقد اختزل احد ساسة البندقية هذا الامر بقوله (ان البنادقة يريدون التعلق بذيل رداء مولاهم السلطان). (١٣٧)

وآخر ما يمكن ان يقال بصدد تلك المعركة ،انه من الخطأ برأي البعض ان يقال الانتصار الاوربي في ليبانتو قدم أية فائدة تذكر للبنادقة ،بل لقد تسببت المعركة في زيادة ضعف البندقية ،بل وابعاد تأثيرها عن الساحة المتوسطية وفسح المجال لمنافسين جدد هم الانكليز (١٣٨) الذين سبق وان استطاعوا تحقيق اول اتثال تجاري لهم مع الحكومة العثمانية عام ١٥٥٣ من خلال التاجر الانكليزي انطوني جنكسون A.Jenkison ،واذا كان ذلك الاتصال بما تضمنه من امتيازات تجارية منحتها الحكومة العثمانية للتاجر الانكليزي فاصبحت التجارة الانكليزية على قدم المساواة مع التجار البنادقة والفرنسيين ،لم تفتح عهدا تجاريا مهما بين انكلترا والدولة العثمانية .(١٣٩)

لكن وصول التاجر الانكليزي وليم هاربورن W.Harborn الى اسطنبول عام ١٥٧٨ وتوقيعه اتفاقية بين البلدين في حزيران ١٥٨٠ قد فتحت مثل ذلك العهد واسدلت الستار عن عن التفوق البندقي في البحر المتوسط (١٤٠) ومنطق الامور يقود الى مثل تلك النتائج لاسيما وان العثمانيين من جانبهم ايضا قد رحبوا بمثل هذا التقارب الانكليزي – الفرنسي بعد ان كانوا يرون في التحالف البندقي - الاسباني – البابوبي تهديدا مرعبا لوجودهم في البحر المتوسط ،ولهذا فمن مصلحتهم التقارب مع دول اوربا الغربية ،فاصبحت تلك السياسة الاستراتيجية العثمانية الثابتة بعد معركة ليبانتو ،فبلغ التقارب العثماني مع تلك الدول الى حد السماح للقراصنة الانكليز في استخدام الموانئ العثمانية لمهاجمة اعدائهم ،وبعد سنة واحدة في ليبانتو ارسل السلطان العثماني موفدا الى الملك الفرنسي شارل التاسع ١٥٦٠-١٥٧٤ يعرض عليه التحالف ضد اسبانيا (١٤١).

الخاتمة

من نافلة القول أن العلاقات العثمانية – البندقية بين عامي ١٥٣٧-١٥٧٣ مرت بين مد وجزر ،وفلسفة اسباب ذلك تعود الى تقاطع مصالح الطرفين في منطقة الصراع وهو البحر المتوسط وسواحله المطلة وجزره الغائرة ،وكذلك لمحاولة كل منهما اثبات ارجحيته في المنطقة واثبات بأنه الاجدر بالسيطرة عليها .ولما كنت تلك المنطقة تعد الطريق الرئيس للتجارة الدولية ،فضلا عن موقعها المسيطر على القارات الثلاث فقد انعكست تلك الاهمية على ذلك التنافس ،الامر الذي أدخل الفاعلين الدولين كلهم تقريبا في سلسلة من الحروب ،ولم تكن الدولة العثمانية والبندقية بمعزل عن تلك الدول ،اذ دخل الطرفان بثلاثة حروب تبادلوا فيها النصر والهزيمة ،ولكن ما يمكن ان يلاحظ بأن حتى وان انتصر طرف منهما في حرب معينة من الناحية العسكرية ،بيد انه لا غالب منهما في تلك الحروب من الناحية السياسية لان كل منهما استعاد قوته واصبح ينتظر الفرصة لتغيير المسرح السياسي في منطقة البحر المتوسط لصالحه.

الهوامش

([١]) عن ظروف نشأة وتكوين الامارة العثمانية ينظر :
Canon Sell,The Ottoman Turks,Madras,1915,PP1-5; Stanly lane- pool,Turkey,Beir Ut,1900,PP3-28;
محمد فؤاد كوبريلي ،قيام الدولة العثمانية ،ترجمة أحمد السعيد سلمان ،تقديم أحمد عزت عبد الكريم ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،(د.ت).

([٢]) محمود محمد الحويري ،تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ، ٢٠٠١، ص ص ٤١-٤٨.وعن دوافع الدولة العثمانية لذلك التوسع ينظر : رائد سامي حميد الدوري ،دوافع التوجهات العثمانية نحو اوربا الشرقية ١٢٩٩-١٣٥٨ ،دراسة تاريخية ،مجلة سامراء المجلد ٩،العدد ٣٢، السنة التاسعة ،كانون الثاني ،٢٠١٣ ،ص ص ٣٤١- ٣٦٠.

([٣]) عن نشاط البندقية المبكر واقامة مستعمراتها الشرقية ينظر ، شارل ديل ،البندقية جمهورية ارسطقراطية تعريب د.احمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ،دار المعارف ،القاهرة ، (د.ت)، ص ص ٣٩-٦٧.

([٤]) فواز نصرت توفيق ،دور المدن التجارية الايطالية في الحروب الصليبية جنوه- البيزا – البندقية ،مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ،المجلد ١٦،العدد ١٠، تشرين الاول ٢٠٠٩،ص ص ١٥٧-١٨١.

([٥]) عن بدايات العلاقات العثمانية - البندقية يراجع :
Carew Hazlitt,History of the Venetian Republic .Her Rise,Hir Greatness and Her Civilization ,Vol III,London,1860,PP 91-117.

([٦]) ماريا بيا بيداني ، البندقية بوابة الشرق ,ترجمة حسين محمود ،مراجعة عزالدين عناية ،هيئة ابو ظبي ،٢٠١٧ ،ص ٧١، ٢٠٩.

(7) Roger Crowley, City of Fortune ,How Venice Ruled the Seas, New Yor Rk,2011,PP197,203.

([٨]) شارل ديل ,المصدر السابق ،ص ص ١٥٩-,١٦٩

([10]) Willam R. Thayer,Ashort History of Venice, Boston,1908.PP199-200.

(١٠) عبد العزيز محمد الشناوي ،اوربا في مطلع العصور الحديثة ،الجزء الاول ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٦٩،ص ص ١٦٣-,١٧١

(12) Willam R.Thayer,Op,Cit,PP200-201.

(13) Cited in, Willam R.Thayer,Op,Cit,PP 202-203,253-254;

شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ,١٦٩

(14) Paul Strathern,The Venetians,Anew Histoery From Marcopolo to Cassanova,((N.D),PP172-173;

عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ١٧٧.

(١٤) ماريا بيا بيداني ، المصدر السابق ، ص ٩٩.

(١٥) المصدر نفسه،ص ص ٩٩-,١٠٠

(17) , Willam R.Thayer,Op,Cit,PP 204-205.

(١٧) ماريا بيا بيداني ،المصدر السابق ،ص ١٠٠.

(١٨) ماريا بيا بيداني ، المصدر السابق .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) للتفاصيل يراجع : محمد فريد بك المحامي ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق احسان حقي ،دار النفائس ،بيروت ،٢٠٠٩،ص ١٨٦-١٨٧.

(٢١) ماريا بيا بيداني ، المصدر السابق ، ص ١٠٠.

(٢٢) عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ,١٧٨

(24) Willam R.Thayer,Op,Cit,P205.

شارل ديل ،المصدر السابق ،ص١٧٠-١٧١.

(٢٤) ماريا بياب يداني ،المصدر السابق ،ص ١٠٢.

(٢٥) محمد فريد بك المحامي ،المصدر السابق ،ص ١٨٧.

(٢٦) ماريا بيا بيداني ، المصدر السابق ،ص ص ١٠٢- ١٠٣.

(٢٧) عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ص ١٨٠-,١٨٣

(29) Stanford J. Shaw,History of the Ottoman Empire and Modern Turkey ,Vol l Cambridge,1978,P83;Savory.R.M,The Consolidation of Safwid power in Persia Der Islam ,Berlin ,band 41,Oktober,1965,PP82-84;

محمد انيس ،الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، مكتبة الانجلو ،القاهرة ،(د.ت)،ص١٠٠.

(٢٩) غسان علي محمد الرمال ،صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر خلال القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي ،رسالة ماجستير قدمت الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ،مكة المكرمة, قسم الدراسات العليا ،جامعة عبدالعزيز ,١٩٨٠-١٩٨١،ص ص ١١١-١١٥؛احمد ابو ثرب ،مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل ،مجلة المؤرخ العربي ،العدد ١،البصرة ،١٩٨٤.

(٣٠) شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ١٧١.

(٣١) ومن الجدير ذكره ان البعض يشير بان السلطان سليم بعد انتصاره في تبريز على الصفويين عام ١٥١٤ قابله قنصل البندقية في اسطنبول وحثه على محاربة المماليك وأفاد ان البندقية على استعداد لمؤازرته باسطولها البحري ،وفي نفس الوقت ارسلت البندقية رسولا الى القاهرة يعرض على السلطان المماليكي المعونة ضد السلطان سليم الاول نعيم زكي فهمي ،طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى ،(د.ت)، ص ١١٠.

(٣٢) للاطلاع على نص المعاهدة يراجع: نعيم زكي فهمي المصدر السابق ،ص ص ٤٢٩ -٤٣٥؛ شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ١٥٠،هامش (٢).

(٣٣) ادريس الناصر رائسي ،العلاقات العثمانية الاوربية في القرن السادس عشر ،دار الهادي ،بيروت ،٢٠٠٧،ص ص ٩١-٩٢,

(35) Archibald R.Lewis,The Islamic World and the Latin west 1350-1500,speculum , Vol 65,No 4,Oct 1990,P839-842;

فريدون آمجان ،سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين ،ترجمة جمال فاروق – احمد كمال ،دار النيل ،القاهرة ،٢٠١٤،ص ٣٤.

(٣٥) فرقة دينية – عسكرية نشأت منذ عام ١٠٩٩ من قبل مجموعة من الباحثين عن الاعمال الخيرية وساهموا في الحروب الصليبية ثم أنشأوا لا نفسهم عدة مراكز في الشام ورودس ومالطا .عنهم وعن نشاطهم يراجع :

Janathon Rilex – smith, The Knights of St-john,in Jerusalem and Cyprus 1050-1310 ,London,1967.

(٣٦) نغم طالب عبد الله ، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد الى معاهدة كارلوفتز ، Route Educational and Social Science Journal ,Vol 5,Articale History Accepted ,Kabul,2018 ,July,p944.

(٣٧) محمد فريد بك المحامي ,المصدر السابق ،ص ٢٠٤؛

والحروب الايطالية هي سلسلة من الحروب الفرنسية – الاسبانية التي دارت حول التوسع في ايطاليا وتعارف المؤرخون على تسميتها بالحروب الايطالية (١٤٩٤-١٥٥٩) وانتهت بتوقيع معاهدة كاتو كامبرسيس .للتفاصيل حولها يراجع :

Michael E.Mallett,Christine Shaw ,The Italian Wars 1494-1559 War,State and Societ In Early Modern Erope,London,2014.

(٣٨) للتفاصيل يراجع :

علي فايز جاسم ،أثر سياسة الدولة العثمانية ازاء الامبراطورية الرومانية المقدسة على حركة مارتن لوثر ١٥٢٠- ١٥٥٥، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاداب, جامعة البصرة ,٢٠٢١,

(38) Nicolas Vatin,Rohdes Et Iorderde Saint Jean de Jerusalem ,Paris,(N.D),P103-105;

هارولد لامب ،سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم ،ترجمة شكري محمود نديم ،بغداد ،١٩٦١،ص ص ٦٥-٧٣.

(٤٠) كامل باشا ،تاريخ سياسي دوله عليه عثماني ،استانبول ،مطبعة احمد احسان ،١٩٠٩،ص ص ١٦٥-١٦٧؛

Turan S.Rodos'un Zaptin dan Malta Muhasarasina Kanuni Armagani,Ankara,1970, S 33; Nicolas Vatin,Op,Cit,PP107-109.

(٤١) ولد عام ١٤٧٠ في جزيرة ميديللي وتوفي في ٥ تموز ١٥٤٦ في اسطنبول ،دخل في خدمة الدولة العثمانية وتقلد اثناء ذلك مناصب عديده منها والي الجزائر وقائد الاسطول وناظرا للبحرية العثمانية .للتفاصيل حوله يراجع:

مذكرات خير الدين بربروس ،ترجمة محمد دراج ،دار الاصالة للنشر والتوزيع ،,٢٠١٠

(42) IZ Fahir ,Barbaros Hayreddin pasa Gazavatnamesi uzeride Yeni Bir Arastirma, T DAY,Belleten,1972,S81-92;

وللتفاصيل حول السيطرة العثمانية على الجزائر يراجع:

عبد الحميد ابن زيان بن اشنهو ، دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر ،الجزائر ،١٩٧٢.

(٤٣) الهام يوسف ،ولاءعلي صقر ، الصراع الاسباني العثماني على تونس ١٥٣٤-١٥٧٤,مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات ،المجلد ٤٠ ،العدد ٥، ٢٠١٨،ص ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٤٤) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر ,اطروحة دكتوراه غير منشورة,كلية الاداب ,جامعة بغداد ,٢٠٠٨,ص ١٤٣هامش ١.

(٤٥) رائد سامي الصياد ،معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية لعام ١٥٣٦ دراسة تاريخية تحليلية ،مجلة جامعة تكاريت للعلوم الانسانية ،المجلد ١٩ ،العدد ٢،شباط ٢٠١٢،ص ٤٠٦-٤٣٦؛ صالح خضر محمد ،أثر الدبلوماسيين

العثمانيين ف تطور الهوية الدبلوماسية والتشريفية للدولة العثمانية ١٤٩٢- ١٨٣٩،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ,المجلد ٧،العدد ٢١ حزيران ٢٠١٥، ص٣٦٨؛ وللاطلاع على نص المعاهدة يراجع:

Nasim Sousa,The Capitulatory Regim of Turkey ,The Johns Hopkins Press,London,1933,PP69-70;J.C.Hurewitz,The Middle East and North Africa in World Politics.A documentary Record ,Vol 1,European Expansion 1535-1914,London,1975,PP1-5.

(47) Alfred Wood .Ceil,History of Levant Company,Second Edition ,London,1964, P14;

خليل اينالجيك ،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ,ترجمة محمد الارناؤوط ,دار المدار الاسلامي ,بيروت ,٢٠٠٢,ص ٢١٥؛ أندريه كلو ، غازي الغزاة سليمان القانوني، تعريب: محمد الزرفي، تونس، ١٩٩١، ١٤٠,

(48) Willam R.Thayer,Op,Cit,PP255-256.

(49) Lord Kinross, the Ottoman Centuries. The Rise and Fall of the Turkish Empire, New York, 1977,P222.

(٤٩) محمد فريد بك المحامي ،المصدر السابق ،ص ٢٣٤,

(51) Afif Buyuktugrul,preveze Deniz Muharebesine Iliskin Gercekler belleten xxx VII,145,1973,S 55-56.

(٥١) ماريا بيا بيداني ، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٥٢) أحمد فؤاد متولي ،تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،القاهرة ,٢٠٠٥،ص ٢٦٠,

(54) Willam R.Thayer,Op,Cit,P256.

أحمد فؤاد متولي ,المصدر السابق ،ص ٢٦١.

(٥٤) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...، ص ١٦٠,

(56) Stanford J. Shaw,Op,Cit,P103;

محمد فريد بك المحامي ،المصدر السابق ،ص ٢٣٤-٢٣٥. والغريب ان بعض المؤرخين يشير ان الهجوم الفرنسي قد تم .قيس جواد العزاوي ,الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ,الدار العربية للعلوم،بيروت,٢٠٠٣,ص ٢٣.

(٥٦) نقلا عن :انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص ١٦١هامش ١

(٥٧) مذكرات خير الدين بربروس ،،ص ١٨١.

(٥٨) احمد فؤاد متولي ,المصدر السابق ,ص ١٦١.

(٥٩) مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق ،ص ١٨٢-,١٨٣

(60) Stanley-lane pool,J.D.Jerrold Kelly,The Story of Barbary Corsairs ,London,1890 P95-96;

مذكرات خيرالدين بربروس ،ص ١٨٢,

(62) Afif Buyuktugrul,Aynlerde,S56- 57;

اندريه كلو ،المصدر السابق ,ص ص ١٤٠-,١٤١

(63) Afif Buyuktugrul,Aynlerde,S 62-64;

اسماعيل سرهنك ،حقائق الاخبر عن دول البحار ،ج١،المطبعة الاميرية ،بولاق ،مصر ،١٨٩٢،ص ٥٤١-,٥٤٢

(64) Stanford J. Shaw,Op,Cit,P 98-99; Stanley-lane pool,J.D.Jerrold Kelly,Op.Cit,P 101.

(65) Afif Buyuktugrul,Aynleses,S78-83;

اندريه كلو ،المصدر السابق ,ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٦٥) مذكرات خير الدين بربروس ،المصدر السابق ،ص ص ١٨٣-١٨٩.

(٦٦) المصدر نفسه ،ص ١٩٢,

(68) Stanford J. Shaw,Op,Cit,P 100;

ماريا بيا بيداني ،المصدر السابق ،ص ١٠٥.

(٦٨) احمد فؤاد متولي ،المصدر السابق ،ص ٢٦٢.

(٦٩) .....

(٧٠) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص ١٦٥.

(٧١) نقلا عن :شارل ديل ،المصدر السابق ،١٥٥.

(٧٢) للتفاصيل حولها يراجع : غسان علي محمد الرمال ،المصدر السابق ،ص ١٧٦-٣٢٣.

(٧٣) كان خير الدين بربروس يروم الدخول الى روما ويجري استعراضا عسكريا فيها لولا ان السفير الفرنسي المرافق للحملة خر على قدمي القائد العثماني ورجاه الا يفعل ،اذ ان ذلك لا يساعد فرنسا وانما يحمل البابا عللى الحكم بالحرمان على مليكه الفرنسي. يلماز اوزتونا ،تاريخ الدولة العثمانية ،ج١،ترجمة عدنان محمود سلمان ،ومراجعة محمود الانصاري ،مؤسسة فيصل للتمويل ،اسطنبول ،١٩٨٨،ص ٣٠١.

(٧٤) يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ،ج١، ص ٣٠٠-٣٠٤.

(٧٥) نقلا عن شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ١٥٥.

(٧٦) يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ،ص ٣٠٥-٣١٤.

(٧٧) شارل ديل ،المصدر السابق ،١٥٤,

(79) Ferah Zekeriyazade,Cerbe Savasi Sadeles tirme .O.S,Gokyay,Istanbul,1980;

فريدون آمجان ،المصدر السابق ،ص ٤٢٣؛ يلماز اوزتونا ،المصدر السابق، ج١، ص ص ٣١٤-٣١٨.

(٧٩) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص ٢٠٢.

(٨٠) المصدر نفسه ،ص ٢٠٤.

(٨١) محمود علي عامر ،الدولة العثمانية تاريخ ووثائق ،دار الرحاب ،دمشق ،٢٠٠١ ،ص ١٤٨؛يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ،ج١، ٣٥٠-٣٥١.

(٨٢) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٨٣) احمد سالم سالم علي ،السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن ١٦،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،٢٠١١، ص ١٤٦

(٨٤) شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ١٥٤,

(86) Bruce Ware Allen,The great Siege of Malta ,University Press of New England , 2015; Roger Crowley,Empire of the Sea the final Battle for the Mediteranean ,London,2008,PP181-195;

أمجان فريدون ،المصدر السابق ،ص ٣٣١-٣٤٤

(87) S.Turan,Sakizin Turk Hakimiyetine Alinmasi,Tarih Arastirmalari Degisi,Ankara, 1966,S176-192.

؛ أحمد فؤاد متولي ،المصدر السابق ،ص ٢٧٨.

(٨٧) عن الكيفية التي امتلكت فيها البندقية للجزيرة يراجع : عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق،ص ٧٦٠ هامش رقم ٢؛ وعن كيفية الادارة العثمانية لقبرص يراجع: عادل زيتون العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،دار دمشق ،١٩٨٠،ص ص ٢٥٢-٢٦٠.

(٨٨) شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ١٥٥.

(٨٩) اسماعيل سرهنك ،تاريخ الدولة العثمانية ،مراجعة حسن الزين ،دار الفكر الحديث ،بيروت ،١٩٨٨،ص ١١٢.

(٩٠) المصدر نفسه ؛ احمد فؤاد متولي ،المصدرالسابق ،ص ٢٨٠.

(٩١) يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ،ج١، ص ٣٦٩,

(93) Stanford J. Shaw,Op,Cit,106;

نهار محمد نوري القرغولي ،التطورات السياسية في قبرص ١٨٧٨-١٩١٤،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب ,جامعة بغداد ،٢٠٠٣،ص ١١-١٣.

(٩٣) يهودي برتغالي كان يسمى في بادئ امره دون ميجيه ،ويعد من اصفياء السلطان سليم الثاني الذي كان مسرفا في شرب الخمر وارتكاب الموبقات فأصبح بسبب ذلك من أقرب مقربيه والمؤثرين عليه .عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص٧٦٣.

(٩٤) تسمية تطلق على المسلمين الذين تم تنصيرهم اجباريا في الاندلس ،واستخدمت التسمية لاول مرة عام ١٤٩٢ بعد سقوط غرناطة بيد الاسبان ،وكلمة الموريسكيون هي تصغير لكلمة مورو الاسبانية وتعني النصارى الجدد تمييزا عن القدامى من اهالي الاندلس ،وتستخدم لتحقير المسلمين اذ انها تعني احيانا المسلمين المنبوذين .عنهم وعن اضطهادهم انذاك يراجع :مشتاق بشير الغزالي وآخرون ،اضطهاد مسلمي الاندلس الموريسكيين في عهد شارل الاول (كارلوس الخامس) ١٥١٦-١٥٥٦،مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية ،العدد ٢٠،السنة الحادية عشر ،٢٠١٧، ص ص ١٩-,٥٢

(96) Roger Crowley,Empire…..,P199;

(97) Nasim Sousa,Op,Cit,PP55-56.

(98) Stanford J. Shaw,Op,Cit,177;

عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٦٣،٧٦٥.

(٩٨) وديع ابو زيدون ،تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس الى السقوط ،الاهلية للنشر والتوزيع ،عمان ،٢٠٠٣،ص ١٤٢.

(٩٩) فاروق عثمان اباضه ،الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢-١٩١٨،المكتبة العربية ،الاسكندرية ،١٩٨٦، ص ٨٠-٨١.

(١٠٠) اسماعيل سرهنك ،تاريخ الدولة العثمانية ...،ص ١١٢؛احمد فؤاد متولي ،المصدر السابق ،ص ٢٨٠.

(١٠١) احمد سالم سالم علي ،السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط ،ص ١٤٦.

(١٠٢) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص ٢٣٠.

(١٠٣) نقلا عن :عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٦٥.

(١٠٤) عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ,٧٦٥

(106) Lord Kinross, Op,Cit,P265;

اسماعيل سرهنك ،حقائق الاخبار ...،ص٥٥٨.

(١٠٦) عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٦٤.

(١٠٧) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص,٢٢٦

(109) Lord Kinross, Op,Cit,P265;

اسماعيل سرهنك ،تاريخ الدولة العثمانية ...،ص ,١١٢

(110) Stanford J. Shaw,Op,Cit,PP177-178

عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ,٧٦٦

111) Roger Crowley,Empire of the….,P230; Lord Kinross, Op,Cit,P266; Stanley-lane pool,J.D.Jerrold Kelly,Op,Cit,PP160-163.

من الجدير بالذكر ان حكومة البندقية اشترت بالذهب بقايا رفاة القائد براجادينو من العثمانيين وأودع وسط احتفالات كبرى كنيسة القديس يوحنا وكانت هذه الكنيسة مثوى عظماء جمهورية البندقية .عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٧١.

(١١١) المصدر نفسه ،ص ٧٦٨.

(١١٢) شارل ديل ،المصدر السابق ،ص ص ١٥٥-١٥٦.

(١١٣) من المهم قوله ان حكومة البندقية ارسلت مبعوثا هو البايلو جاكوبو راغازينو J.Ragazzino الى اسطنبول في كانون الثاني ١٥٧٠ لغرض ثني الدولة العثمانية عن نواياها والتوصل الى تفاهم لكن المبعوث فشل في المهمة امام اصرار الحكومة العثمانية على مطاليبها .

Stanley-lane pool,J.D.Jerrold Kelly,Op,Cit,P163.

(١١٤) نقلا عن :يلماز اوزتونا ،المصدر السابق ،ج١،ص ,٣٧١

(116) Stanley-lane pool,J.D.Jerrold Kelly,Op,Cit,P163-165; Roger Crowley,Empire…,

PP241-243;
عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ,٧٧٥
([117]) S,Soncek,Inabahti Savasi 1571 Hakkinda Bazi Mulahazalar Tarih Enstitusu Dergisi,S 35-38;
وللاطلاع على الخطط العسكرية لكلا الطرفين فضلا عن انواع واعداد قواتهم يراجع:
Angus Konstam,Lepanto 1571 The Greatest Naval battle of the Renaissance ,illustrated by Tony Bryan ,Oxford,2003,PP21-26.
([118]) Stanford J. Shaw,Op,Cit,P 178; S,Soncek,Aynleses,S 36;
الميرلاي اسماعيل سرهنك ,تاريخ الدولة العثمانية...،ص ١١٣.
([١١٨]) يلماز اوزتونا ,المصدر السابق ، جذ، ص٣٧٢.
([١١٩]) يطلق بعض المؤرخين على المعركة اسم ليبانتو نسبة الى اسم الخليج الذي نشبت بالقرب منه ،في حين يطلق الاتراك على المعركة اسم (اينه بختي)اي الحظ العاثر .
S.Soncek,Aynleses;
احمد فؤاد متولي ,المصدر السابق،ص ٢٨١.
([١٢٠]) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص٢٣٨.
([١٢١]) المصدر نفسه ،ص ,٢٤٣
([123]) S,Soncek,Aynleses,S 36;
اسماعيل سرهنك ,حقائق البحار ...،ص ٥٥٩.
([١٢٣]) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص,٢٥٢
([125]) IH.Uzuncarsili,Osmanli Tarihi,III,Ankara,1951,S 19- 23; Willam R. Thayer,Op, Cit,PP259-260;
عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٧٦,وديع ابو زيدون ،المصدر السابق ، ص ١٤٤؛ ويشير المؤرخ اسماعيل سرهنك ان الهجوم كان في العشر من الشهر نفسه .حقايق البحار ...، ٥٥٩.
([١٢٥]) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص١٢٧.
([١٢٦]) عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٧٨،ويذكر وديع ابو زيدون ان عدد السفن التي تم بنائها هو ٢٥٠ ،المصدر السابق ،ص ١٤٤.
([١٢٧]) أنيس عبد الخالق القيسي ،أثر معركة ليبانتو في تاريخ البحر المتوسط ١٥٧١-١٥٨٠،مجلة دراسات تاريخية ،بيت الحكمة ،العدد ٢٧،السنة العاشرة ،٢٠١١،ص ٥٩.
([١٢٨]) الهام يوسف وولاء علي صقر ،المصدر السابق ،ص ,٤١٢
([130]) IH.Uzuncarsili,Aynleses,S 23-24.
([١٣٠]) نقلا عن : انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص ٢٦٢.
([١٣١]) نقلا عن عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٧٩.
([١٣٢]) الميرلاي اسماعيل سرهنك ،تاريخ الدولة العثمانية ..،ص١١٧-١١٨.
([١٣٣]) وديع ابو زيدون ،المصدر السابق ،ص ١٤٥.
([١٣٤]) الميرلاي اسماعيل سرهنك ،تاريخ الدولة العثمانية ..،ص ١١٨.
([١٣٥]) عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٨١.
([١٣٦]) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص٢٦٢.
([١٣٧]) نقلا عن :عبد العزيز محمد الشناوي ،المصدر السابق ،ص ٧٨١.
([١٣٨]) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص٢٦٣
([140]) J.C.Hurewitz,Op,Cit,PP5-6.
خليل اينالجيك ،تاريخ الدولة العثمانية...،ص,٢١٤
([141]) Alfred Wood .Ceil,Op,Cit,P10; G.R.Smith Alon,The Emergence of a nition state The common wealth of England 1529-1660,London,p105; J.C.Hurewitz,Op,Cit,

PP8-10.

(١٤١) انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني...،ص٢٦٤.

المصادر

- احمد سالم سالم علي ،السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن ١٦،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،٢٠١١.
- أحمد فؤاد متولي ،تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي ،القاهرة ,٢٠٠٥.
-
- اسماعيل سرهنك ،حقائق الاخبر عن دول البحار ،ج١،المطبعة الاميرية ،بولاق ،مصر ،١٨٩٢.
- ،تاريخ الدولة العثمانية ،مراجعة حسن الزين ،دار الفكر الحديث ،بيروت ،١٩٨٨.
- أندريه كلو ، غازي الغزاة سليمان القانوني، تعريب: محمد الزرفي، تونس، ١٩٩١، ١٤٠.
- ادريس الناصر رائسي ،العلاقات العثمانية الاوربية في القرن السادس عشر ،دار الهادي ،بيروت ،٢٠٠٧.
- خليل اينالجيك ،تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ,ترجمة محمد الارناؤوط ,دار المدار الاسلامي ,بيروت ,٢٠٠٢.
- شارل ديل ،البندقية جمهورية ارسطقراطية تعريب د.احمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ،دار المعارف ،القاهرة ، (د.ت).
- عادل زيتون العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،دار دمشق ،١٩٨٠.
- عبد الحميد ابن زيان بن اشنهو ، دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر ،الجزائر ،١٩٧٢.
- عبد العزيز محمد الشناوي ،اوربا في مطلع العصور الحديثة ،الجزء الاول ،دار المعارف ،القاهرة ،١٩٦٩.
- فريدون آمجان ،سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين ،ترجمة جمال فاروق – احمد كمال ،دار النيل ،القاهرة ،٢٠١٤.
- قيس جواد العزاوي ,الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ,الدار العربية للعلوم،بيروت,٢٠٠٣.
- ماريا بيا بيداني ، البندقية بوابة الشرق ,ترجمة حسين محمود ،مراجعة عزالدين عناية ،هيئة ابو ظبي ،٢٠١٧.
- محمد فؤاد كوبريلي ،قيام الدولة العثمانية ،ترجمة أحمد السعيد سلمان ،تقديم أحمد عزت عبد الكريم ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،(د.ت).
- محمد انيس ،الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤، مكتبة الانجلو ،القاهرة ،(د.ت).
- محمود محمد الحويري ،تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ، ٢٠٠١.
- محمد فريد بك المحامي ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق احسان حقي ،دار النفائس ،بيروت ،٢٠٠٩.
- محمود علي عامر ،الدولة العثمانية تاريخ ووثائق ،دار الرحاب ،دمشق ،٢٠٠١ .
- هارولد لامب ،سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم ،ترجمة شكري محمود نديم ،بغداد ،١٩٦١.
- يلماز اوزتونا ،تاريخ الدولة العثمانية ،ج١،ترجمة عدنان محمود سلمان ،ومراجعة محمود الانصاري ،مؤسسة فيصل للتمويل ،اسطنبول ،١٩٨٨.

الرسائل والاطاريح :

١: انيس عبد الخالق محمود القيسي, النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر ,اطروحة دكتوراه غير منشورة,كلية الاداب ,جامعة بغداد ,٢٠٠٨,

٢: علي فايز جاسم ،أثر سياسة الدولة العثمانية ازاء الامبراطورية الرومانية المقدسة على حركة مارتن لوثر ١٥٢٠- ١٥٥٥، رسالة ماجستير قدمت الى كلية الاداب, جامعة البصرة ,٢٠٢١,

٣: غسان علي محمد الرمال ،صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الاحمر خلال القرن العاشر الهجري –السادس عشر الميلادي ،رسالة ماجستير قدمت الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ،مكة المكرمة ,قسم الدراسات العليا ،جامعة عبدالعزيز ,١٩٨٠-١٩٨١.
٤: نهار محمد نوري القرغولي ،التطورات السياسية في قبرص ١٨٧٨-١٩١٤،رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب ,جامعة بغداد ،٢٠٠٣.

الكتب الوثائقية باللغة الانكليزية

1: J.C.Hurewitz,The Middle East and North Africa in World Politics.A documentary Record ,Vol 1,European Expansion 1535- 1914,London,1975.
2: Nasim Sousa,The Capitulatory Regim of Turkey ,The Johns Hopkins Press,London,1933 .

الكتب باللغة الانكليزية

1: Alfred Wood .Ceil,History of Levant Company,Second Edition,London,1964.
2: Bruce Ware Allen,The great Siege of Malta ,University Press of New England,2015.
3: Canon Sell,The Ottoman Turks,Madras,1915.
4: Roger Crowley, City of Fortune ,How Venice Ruled the Seas, New Yor,2011.
5: Roger Crowley,Empire of the Sea the final Battle for the Mediteranean ,London,2008.
6: Stanford J. Shaw,History of the Ottoman Empire and Modern Turkey ,Vol l Cambridge,1978 .
7: Michael E.Mallett,Christine Shaw ,The Italian Wars 1494-1559 War,State and Societ In Early Modern Erope,London,2014.
8: Stanley lane- pool,Turkey,Beirut,1900.
9: Willam R. Thayer,Ashort History of Venice, Boston,1908.
10: Carew Hazlitt,History of the Venetian Republic .Her Rise,Hir Greatness and Her Civilization ,Vol III,London,1860.
11: Paul Strathern,The Venetians,Anew Histoery From Marcopolo to Cassanova (N.D).
12: Janathon Rilex – smith, The Knights of St-john,in Jerusalem and Cyprus 1050-1310,London,1967.
13: Lord Kinross, the Ottoman Centuries. The Rise and Fall of the Turkish Empire, New York, 1977 .
14: Stanley-lane pool,J.D.Jerrold Kelly,The Story of Barbary Corsairs ,London,1890.

الكتب باللغة التركية الحديثة

1: Afif Buyuktugrul,preveze Deniz Muharebesine Iliskin Gercekler ,1973.
2: Ferah Zekeriyazade,Cerbe Savasi Sadeles tirme .O.S,Gokyay,Istanbul,1980.
3: S.Turan,Sakizin Turk Hakimiyetine Alinmasi,Tarih Arastirmalari Degisi,Ankara, 1966.
4: Turan S.Rodos'un Zaptin dan Malta Muhasarasina Kanuni Armagani,Ankara,

1970.
5: IZ Fahir ,Barbaros Hayreddin pasa Gazavatnamesi uzeride Yeni Bir Arastirma, T DAY,Belleten,1972.

الكتب باللغة الفرنسية:

1: Nicolas Vatin,Rohdes Et Iorderde Saint Jean de Jerusalem ,Paris,(N.D).

الكتب باللغة العثمانية

١: كامل باشا ،تاريخ سياسي دوله عليه عثماني ،استانبول ،مطبعة احمد احسان ،١٩٠٩.

البحوث والدراسات :

١: احمد ابو ثرب ،مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ الغزو البرتغالي لسواحل المغرب والبحر الاحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل ،مجلة المؤرخ العربي ،العدد ١،البصرة ،١٩٨٤,

٢: الهام يوسف ،ولاءعلي صقر ، الصراع الاسباني العثماني على تونس ١٥٣٤-١٥٧٤,مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات ،المجلد ٤٠ ،العدد ٥،٢٠١٨,

٣: : رائد سامي حميد الدوري ،دوافع التوجهات العثمانية نحو اوربا الشرقية ١٢٩٩-١٣٥٨ ،دراسة تاريخية ،مجلة سامراء المجلد ٩،العدد ٣٢، السنة التاسعة ،كانون الثاني ،٢٠١٣,

٤: صالح خضر محمد ،أثر الدبلوماسيين العثمانيين ف تطور الهوية الدبلوماسية والتشريفية للدولة العثمانية ١٤٩٢ - ١٨٣٩،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ,المجلد ٧،العدد ٢١ حزيران ,٢٠١٥

٥:) نغم طالب عبد الله ، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد الى معاهدة كارلوفتز ، Route Educational and Social Science Journal ,Vol 5,Articale History Accepted ,Kabul ,2018 .

July

٦: أنيس عبد الخالق القيسي ،أثر معركة ليبانتو في تاريخ البحر المتوسط ١٥٧١-١٥٨٠،مجلة دراسات تاريخية ،بيت الحكمة ،العدد ٢٧،السنة العاشرة ،٢٠١١,

٧: :مشتاق بشير الغزالي وآخرون ،اضطهاد مسلمي الاندلس الموريسكيين في عهد شارل الاول (كارلوس الخامس) ١٥١٦-١٥٥٦،مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية ،العدد ٢٠،السنة الحادية عشر ،٢٠١٧.

البحوث باللغات الاجنبية :

Vol 1: Archibald R.Lewis,The Islamic World and the Latin west 1350-1500,speculum , 65,No 4,Oct 1990.

2: Savory.R.M,The Consolidation of Safwid power in Persia Der Islam ,Berlin ,band 41,Oktober,1965.

المذكرات:

١: مذكرات خير الدين بربروس ،ترجمة محمد دراج ،دار الاصالة للنشر والتوزيع ،٢٠١٠.